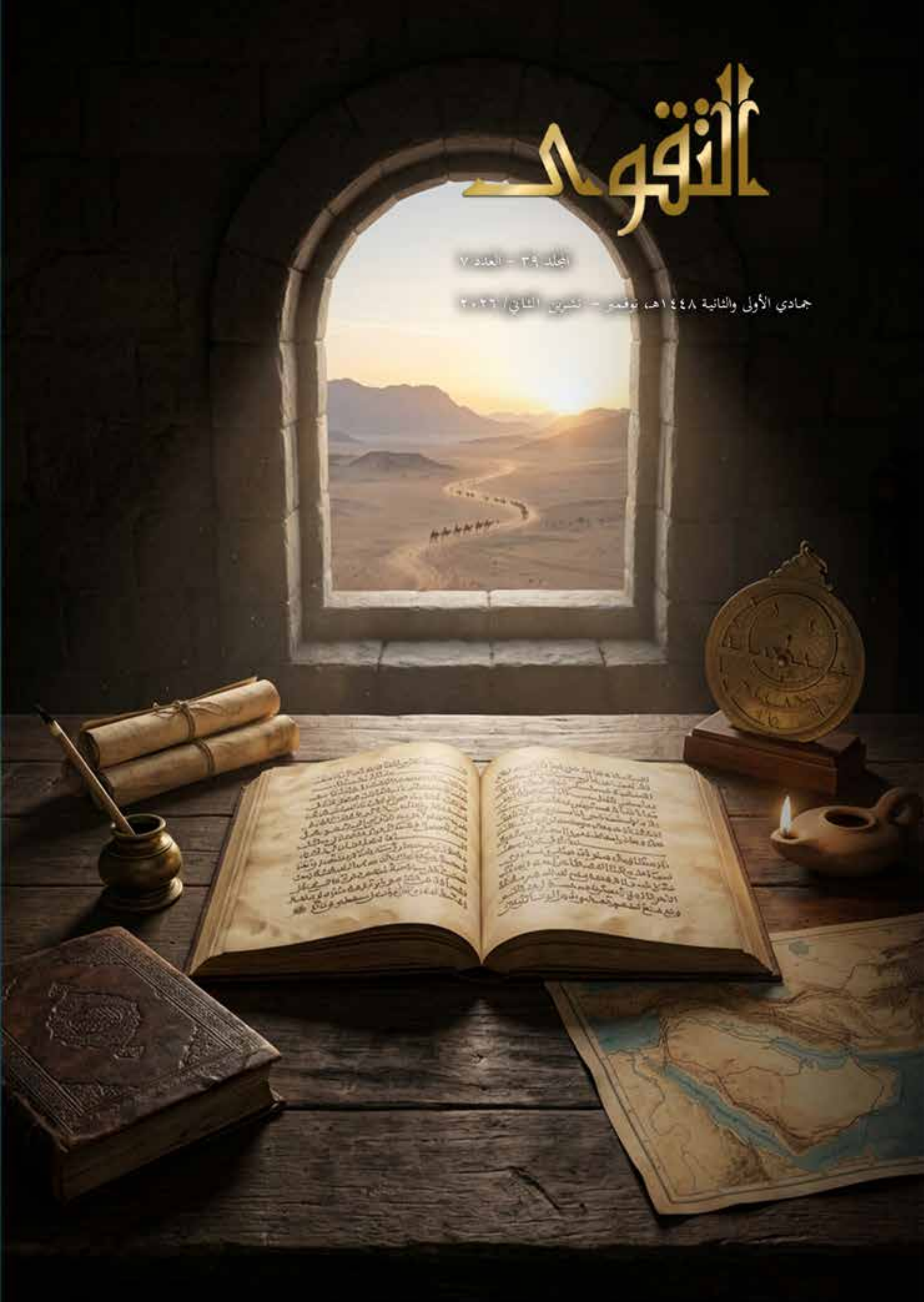


المجلد ٣٥ - العدد ٧

جمادي الأولى والثانية ١٤٤٨هـ، نوفمبر - تشرين الثاني/ ٢٠٢٦

لا إِلٰهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

نوفمبر 2026 | المجلد 39 | العدد 7

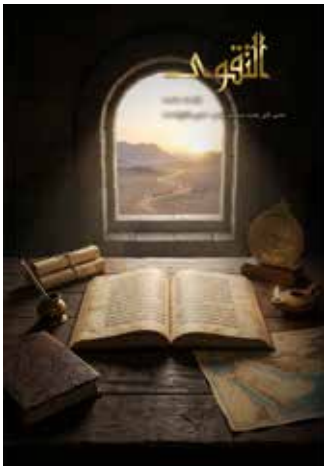
جمادى الأولى والثانية 1448 هـ /تشرين الثاني- نوفمبر 2026

2 | **كلمة التقوى**
الجغرافية الروحية ومستقبل الإسلام

4 | **في رحاب القرآن**
دلالة لفظ طه وتجليات الكمال في شخصية النبي ﷺ

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
أخلاق المسلم في ضوء السنة النبوية

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
في فساد الزمان وغلبة الدنيا



أسفر انتشار الإسلام في المجتمعات الغربية عن تأثيرين متناقضين، أولهما القلق الغربي من ذلك الانتشار؛ نظرًا إلى واقع الإسلاموفوبيا والانطباعات السلبية المسبقة عن الإسلام والمسلمين. والتأثير الثاني هو جو الطمأنينة والاستقرار القيمي المتفشِّي باستقرار المسلمين في بلاد المهجر. وعلى كُلٍّ، فالوجود الإسلامي بات فارضًا نفسه على أرض الواقع، وفاتحا بالكلمة الطيبة ومشاعر المواساة الصادقة قلوبَ ذوي الفطرة السعيدة من أهل تلك البلاد البعيدة.



10 | **نهاية حروب الردة في الجزيرة العربية، وبدء التفكير في حركة الفتوحات الإسلامية** خطبة الجمعة ٢٠٢٢/٧/١٥م

20 | **العالم الحائر بين ذريعة الإسلاموفوبيا وحقيقة الإسلام** عبادة بربوش

24 | **المسيح الموعود والقرآن المجيد، قصة حب فريد**
نفيس أحمد قمر

28 | **مولانا ظفر محمد ظفر، سيرة عالم ومسيرة**
عاصف ظفر

33 | **الزهايمر لص الذاكرة الخفي**
د. أحمد وائل

الجغرافية الروحية ومستقبل الإسلام

في مشهد ثقافي وحضاري شديد التعقيد، تبرز ظاهرة اجتماعية لافتة لأنظار المهتمين من المؤرخين والباحثين في علم الاجتماع والنقد الثقافي والجغرافيا السياسية والثقافية على حد سواء، ألا وهي ظاهرة المد الإسلامي المتنامي في المجتمعات الغربية. لا يَحسُنُ اختزال هذه الظاهرة في مجرد أرقام وإحصائيات تشير إلى حجم التغير الديموغرافي للتركيبة السكانية، بل ينبغي تناولها من حيث كونها تمثل تحولًا ثقافيًّا ومعرفيًّا وروحيًّا يستدعي من ملف النبوءات القديمة نبوءةً نبويَّةً تتحدث عن طلوع الشمس من حيث لم يعتدْ الخلق. فإذا نحينا جانبا فرضيات أصحاب اتجاه الإعجاز العلمي في تأويل النبوءات المستقبلية، فهل يمكن أن يشير نص النبوءة المذكورة إلى جانب روحي صميم لم يكد أكثر المفسرين يلتفتون إليه؟! وهل يمكن تصوُّر أننا نعاين حقًّا طلوع شمس الإسلام من قِبَلِ الغرب في هذه الأيام؟! وإذا ناقشنا القضية من منظور فكري أوسع، فهل بوسعنا القول إن قضية الجغرافيا الروحية قد انتقلت الآن من الهامش إلى المركز؟!

لعقود مضت، كان الوجود الإسلامي في الغرب يُنظر إليه من خلف نظَّارات «الإسلاموفوبيا» المُعتِمة، فاعتراه قدر غير ضئيل من القلق والريبة، بحيث كان ذلك الوجود الإسلامي محصورا في أحياء معزولة في قلب الحواضر الأوربية، يسعى للبقاء لا للتأثير، وثمة دراسات أكاديمية حديثة، منها دراسة مركز «بيو» للأبحاث عن مستقبل أديان العالم وتوقعات النمو السكاني للفترة ما بين ٢٠١٠ – ٢٠٥٠، وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج تشير إلى أن الدين الإسلامي أصبح الأسرع نموًّا في المجتمعات الغربية في أوروبا وأمريكا الشمالية، ليس فقط بفعل هجرة المسلمين من بلدانهم الأصلية إلى بلدان المهجر المتقدمة، بل عبر سبيل اعتناق غير المسلمين للدين الجديد اعتناقًا واعيًا بملء القصد والإرادة.[١] فإن الانتماء إلى الإسلام داخل المجتمعات الغربية اليوم لم يعد مجرد ممارسات لطقوس موروثة، بل أضحى خيارًا وقرارًا مصيريًّا نُخبويًّا في كثير من الأحيان، حيث بات كثير من المثقفين الغربيين يجدون ضالتهم في التوحيد الإسلامي، وينظرون إليه بوصفه الملاذ الآمن من شتات المادية المعاصرة وعدمية ما بعد الحداثة.

وفي تحول لافت تؤكد دراسات اجتماعية رصينة أنَّ الحضور الإسلامي في الغرب قد انتقل من مرحلةٍ يمكن وصفُها بعبارة «الإسلام في الغرب»، في إشارة إلى الأقلية المسلمة في محاولتها البقاء والاندماج، إلى «إسلام الغرب»، بما يتضمنه هذا التعبير من دلالات المساهمة الحضارية الفاعلة[٢]، يتجلى ذلك في نشوء تيار فكري يجمع بين القيم الروحية الإسلامية وأدوات الحداثة النقدية. ثم بروز شخصيات قيادية مسلمة في البرلمانات والمؤسسات الحقوقية والمحافل الدولية، تطرح الإسلام بوصفه شريكًا في إقامة بنيان السلم الاجتماعي لا مهددا له. وأخيرا وليس آخرا يَبْرُزُ النموذج الأخلاقي الإسلامي؛ ففي ظل أزمات

العائلة والتحلل القيمي، يقدم ذلك النموذج تماسكًا لافتًا مثيراً لإعجاب المراقبين الغربيين أنفسهم.

فهل يبقى بعد كل ما سلف شك في أن تلك الشمس المرتقب طلوعها من قبل الغرب إنما هي تعبير مجازي عميق عن الانبعاث الجديد للدين الحق؟! إننا حين نتأمل هذا الانبعاث نجد أن شمس الهداية لم تعد مقصورة على مطلعها المشرقي، وقد أضحت تشرق الآن من عواصم الفكر الغربي، من واشنطن ولندن وباريس وبرلين. الشيء الجميل في هذا الانبعاث أنه ليس استعمارًا ثقافيًّا، بل هو استرداد للروح. فالمجتمعات التي استنفدت أسبابها المادية شرعت الآن في تَلَمُّس طريقها نحو الفطرة التي رعاها الإسلام. لقد استطاع الإسلام، برغم حملات التشويه الممنهجة، أن يقدم نفسه كمنظومة قادرة على الصمود وتقديم إجابات لأسئلة الوجود الكبرى. إن هذا الحراك يذكرنا بجدلية الحضارات؛ حيث يولد الجديد من رحم القديم، وتشرق الأنوار من حيث ظن الناس أنه موطن الغروب!

إن المتأمل في مسار التاريخ الإسلامي، والذي أضحى فصلا في تاريخ العالم المعاصر، يدرك أننا نعيش لحظة فارقة، حيث نشهد بأم أعيننا تحققا للنبوءة النبوية المباركة، فبعد قرون من الانكفاء، يعود الإسلام فيملأ الآفاق، لا بفعل السلاح، بل بقوة الحجة التي تأسر الأرواح، إنها الشمس التي لم تكتف بإضاءة المشرق، بل انتقلت لتزهر في المغرب، وكأن الربيع قد عاد إلى الأرض بعد شتاء طويل من الضياع الروحي. وهنا نجد أنفسنا أمام تمثيل حي لقوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.﴾[٣]

لقد تحقق الوعد، وأشرقت الأرض بنور ربها من جديد، ليثبت التاريخ مرة أخرى أن الإسلام كالشمس المحكومة بسنة الله ﷻ، لا تغيب عن مكان إلا لتطلع على آخر، لكنها أبدًا لا تخبو.

وفي عدد هذ الشهر من مجلة التقوى، تُقدّم أسرة التحرير بين يدي القارئ الكريم باقة من المواد المُثرية، وهي على تنوعها لا تَعدَم القاسم المشترك فيما بينها، فانطلاقًا من الخطبة المُتخيَّرة من خُطب سيدنا أمير المؤمنين (نصره الله)، والحديث عن الانتشار الجلالي لدين الإسلام في صدره الأول، ندلف إلى انتشار جديد للدين القيّم في هذا العصر، ولكنه انتشار ذو طابع جمالي آسِر، على الرغم مما يواجهه من صيحات "الإسلاموفوبيا" المعادية في الغرب. ثم إنَّ ذلك الانتشار الجمالي الذي نتحدث عنه ما كان ليحدُث لولا البعثة الجمالية لسيدنا خاتم النبيين ﷺ المتجسدة في شخص مسيحه الموعود عليه السلام.

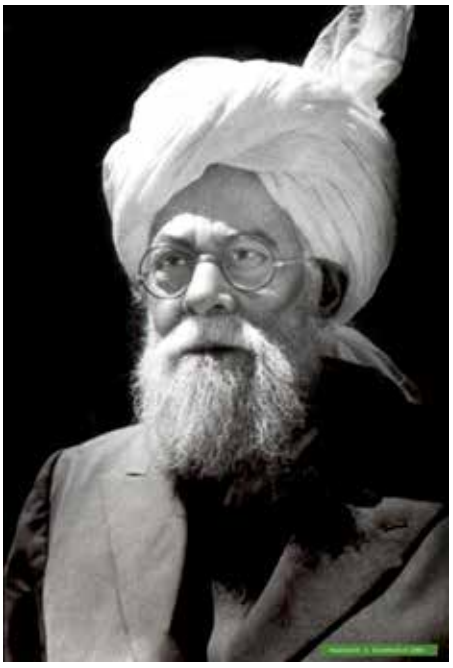
الهوامش

1 - The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2050, Pew Research Center (Religion & Public Life Project).

2 - Roy, O., Globalised Islam: The Search for a New Ummah. Columbia University Press, (2004).

٣ – (سورة التوبة: ٣٣)

دلالة لفظ طه وتجليات الكمال في شخصية النبي ﷺ



حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

طه ﴿٢﴾

التفسير:

لقد قلت في تفسير سورة يونس لدى الحديث عن المقطعات القرآنية أن لفظ ﴿طَه﴾ أيضًا منها. ولكن تبين لي بالمزيد من التدبر في اللغة وفي أقوال المفسرين ومضامين هذه السورة أن «ط» أو «ه» هنا ليس اختزالاً لكلمة أخرى، بل هما كلمة مستقلة ومعناها «يا رجلُ». فقد ورد عن هذا اللفظ ما نصه: إنها بمعنى «يا رجلُ» في لغة عُكَل وفي لغة عَكّ. قال الكلبي: لو قلتَ لرجل مِن عَكّ «يا رجل» لم يجبْ حتى تقول «طه». وقال قُطْرُبُ: هي كذلك في لغة طيّ» (تفسير فتح البيان).

علمًا أن قطرب كان من كبار اللغويين والنحاة، وكان من أبرز تلاميذ سيبويه. وقد ذكر صاحب «لسان العرب» أيضًا هذا الاستعمال. فبما أن شتى القبائل العربية قد استعملت هذا اللفظ بمعنى «يا رجل» أي «أيها الرجل الكامل القُوَى» فقد اعتبرتُ سورة طه تسلسلاً لموضوع سورة مريم.

لقد أُشير بلفظ «طه» أن محمدًا رسول الله ﷺ يتحلى بجميع صفات الرجولة مثل الشجاعة والسخاء ومقاومة السيئة وغيرها على وجه الكمال، لذلك فهو الوحيد بين البشر أجمعين الذي يستحق بكل جدارة أن يسمى الرجل الكامل.

وعندما نفحص التاريخ يتبين لنا أن محمدا رسول الله ﷺ كان إنسانًا كاملاً حقًّا، ومتصفًا أتمَّ اتصاف بجميع المزايا الحسنة التي يجب توافرها في رجل كامل القوى والصفات. خذوا مثلاً صفة مقاومة السيئة، فدراسة حياته ﷺ من هذه الناحية تكشف لنا أنه كانت في قلبه الطاهر المطهر رغبة عارمة لمقاومة السيئة لا نجد لها مثيلاً في العالم. وقد دفعته هذه العاطفة الفطرية فيه، حتى قبل بعثته، إلى أن يبحث

وعندما نفحص التاريخ يتبين لنا أن محمدا رسول الله ﷺ كان إنسانًا كاملاً حقًّا، ومتصفًا أتمَّ اتصاف بجميع المزايا الحسنة التي يجب توافرها في رجل كامل القوى والصفات. خذوا مثلاً صفة مقاومة السيئة، فدراسة حياته ﷺ من هذه الناحية تكشف لنا أنه كانت في قلبه الطاهر المطهر رغبة عارمة لمقاومة السيئة لا نجد لها مثيلاً في العالم.

عن الطريق الذي يؤدي به إلى معرفة الله تعالى. كان الكفر والشرك سائدين في كل مكان حوله ﷺ. لم يكن هناك أمة إلا وكانت تشرك بالله وتعبد الأوثان. فكان حوله اليهود والنصارى وأهل مكة، وكانت هذه الطوائف الثلاث كلها منغمسة في الشرك. فأهل مكة، الذين كان النبي ﷺ

يعيش بينهم، كانوا غارقين في الوثنية كليةً حتى كانوا يعبدون في الكعبة أيضًا ستين وثلاث مئة صنم (البخاري: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية). أما اليهود والنصارى فكانوا منغمسين في الشرك أيضًا. لا شك أن اليهود كانوا يرفضون الشرك بأفواههم، ولكنهم اتخذوا واحدًا من أنبيائهم ابنًا لله وقالوا ﴿عزيرٌ ابنُ الله﴾(التوبة: ٣٠). وكان المسيح عليه السلام قد عدهم مجرمين جراء مخالفتهم وعصيانهم، فكيف يمكن أن تهدي هذه الأمة المجرمة الآخرين. وأما النصارى فكانوا مشركين إذ كانوا يؤمنون بثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد. فلما رأى النبي ﷺأنه لا يوجد عند أي واحد من هؤلاء الطوائف أي أثر لمعرفة الله تعالى وتوحيده وتفريده، وأنهم جميعًا ساقطون في الهوة المظلمة للكفر والشرك، رغب بشدة في أن يبحث عن سبيل مرضاة الله تعالى. ولقد استولت عليه هذه الرغبة حتى عاف الدنيا وكرهها، وأخذ يتجنب مجالس القوم الذين كانوا يعبدون الأصنام ليل نهار، متبرئًا من الوثنية المنتشرة حوله. ولما كان محاطًا بالوثنيين من كل طرف بحكم إقامته بينهم، حيث كانوا يقدمون القرابين والنذور لأوثانهم، ويقرضون الشعر مدحًا لأصنامهم، فكان من المحال أن يعتزلهم كلية، فقرر أخيرًا أن ينفرد في مكان ليبتهل إلى الله الواحد الأحد ويستعين به حتى يهيئ من عنده أسباب الهدى. فكانت السيدة خديجة رضي الله عنها تزوده بالطعام الذي لم يكن كطعام الناس اليوم، إنما كان عبارة عن التمر والسويق واللحم المجفف. فكان يذهب بهذا الزاد إلى غار حراء الذي يبعد عن مكة ثلاثة أو أربعة أميال، حيث يقضي عدة أيام في الذكر والعبادة والدعاء، حتى يهديه الله تعالى وغيره من الناس إلى السبيل الذي يؤدي بهم إلى الله تعالى.

إن هذه الرغبة النابعة في قلبه ﷺ كانت رغبة غير عادية، وكانت أسمى من الاستعانة بالبشر، إذ ما كان لبشر أن يساعده في تحقيقها. في الأمور المادية يمكن أن يساعد المرءَ أقاربُه وأصدقاؤه بالقوة أو بالمال، ولكن ما كان لأي قوة بشرية أن تعينه في مقصده هذا بشكل من الأشكال. لو كان في زمنه أي دين حق لاستعان به في تحقيق رغبته، ولكن لم يوجد في الدنيا عندئذ أي دين حق، بل كانت الأديان والطوائف كلها منغمسة في الشرك والوثنية. فما كان ثمة قوة يمكن أن تساعده ﷺ في شفاء غليله للتوحيد الإلهي إلا الله تعالى وحده. كانت زوجته خديجة – رضي الله عنها – زوجة وفية ومواسية له ﷺ، ولكن ما كان بوسعها أيضًا أن تساعده ﷺ بهذا الشأن. ولم يكن أصدقاؤه ولا أقاربه قادرين على ذلك.

ولم يكن رهبان النصارى بقادرين على تقديم أي عون له. كما لم يكن بوسع كهان مكة أن يساعدوه بهذا الشأن. كان هؤلاء أنفسهم ضالين، فأنى لهم أن يساعدوه شيئًا! إن فطرته ﷺ كانت أفضل من كل هؤلاء حيث كان يكره الشرك منذ نعومة أظفاره كرهًا شديدًا. فذات مرة قابله ﷺ زيد بن عمرو – وكان عمًّا لعُمر ﷺ، وكان قد تاب عن الشرك في زمن الجاهلية، وكان يعتبر نفسه من كبار المحاربين للشرك – وبعد الحوار دعاه النبي ﷺ إلى الطعام، فقال إني لا آكل طعام المشركين. فقال ﷺ إني لم أشرك قط (البخاري: كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل). ولكن هذا الشخص كان قد تبرأ من الشرك نتيجة صحبة اليهود، وأما النبي ﷺ فقد خُلق بفطرة تعاف الشرك بشدة. لا شك أنه ﷺ قد اطلع على أحكام الله تعالى وتفاصيل الشرع من خلال الوحي من عند الله تعالى، ولكن فيما يتعلق بحب التوحيد وكراهية الشرك بشدة فكانا مغروسين في فطرته ﷺ من أول يوم. كان يعلم أن الله تعالى واحد، ويجب أن يكون واحدًا، ولكنه كان لا يعلم السبيل للوصول إليه ولمعرفته ﷻ. وبحثًا عن ذلك السبيل كان يذهب إلى غار حراء ليعبده ﷻ هناك. وفيما هو في عبادة الله تعالى ذات يوم ظهر له ملاك وقال له: ''اقْرَأْ''. فقال ﷺ: ''ما أنا بقارئ''. فضمه الملاك إلى صدره بقوة ثم تركه وقال: ''اقْرَأْ''، فقال ﷺ: ''ما أنا بقارئ''. فغطّه الملاك ثانية بقوة أكثر وقال: ''اقْرَأْ''. فقال ﷺ: ''ما أنا بقارئ''. فضمّه الملاك ضمة شديدة جدًّا، وقال: ﴿اقْرَأْ باسْمِ ربِّك الذي خلَق * خلَق الإنسانَ مِن عَلَقٍ * اقْرَأْ وربُّك الأَكرمُ * الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسانَ ما لم يعلَمْ﴾ (البخاري، باب كيف كان بدء الوحي).

هذه الآيات هي أول ما نزل على النبي ﷺ من الوحي في غار حراء. ومن الملاحظ هنا أن الله تعالى لم يقل لرسوله ﷺ إنه سيهب له العلوم التي قد نسيها الناس، بل قال إنه سيهب له ما لم يعلَمه أحد من قبل. ذلك لأنه لو قال له سأعلّمك ما نسيه الناس لكان معنى ذلك أنه سيعطيه ذلك العلم والهدى الذي سبق أن وهبه لإبراهيم أو لنوح أو لموسى أو لعيسى وغيرهم من الأنبياء، ولكن الناس قد نسوه الآن. بل قال الله تعالى لنبينا ﷺ ﴿علّم الإنسانَ ما لم يعلَمْ﴾.. أي سأعطيك العلوم التي لم أعطها آدم ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا غيرهم من الأنبياء والرسل. فالواقع أن الله تعالى قد أخبره في أول وحي له أنه سيجعله ''خاتم النبيين''، وأنه سيمنحه التعليم الذي لم يعطه أحدًا من النبيين من قبل. وهذا يعني أن الوحي الأول نفسه قد أشار إلى الحقيقة التي ينطوي عليها لفظ ﴿طه﴾، حيث بين الله تعالى أن محمدًا ﷺ متحلٍّ بالقوى الروحانية الكاملة، ولذلك سيعطى تعليمًا كاملاً غير خاضع للتبديل والتغيير.

ثم بعد ذلك بدأت مرحلة جديدة أكدت أنه ﷺ كان «طه» في الحقيقة، وأنه كان بالفعل متحلّيًا بجميع الكفاءات والصفات التي يجب توافرها في الإنسان الكامل. قال الله تعالى له ﴿اقْرَأْ﴾.. أي اذْهَبْ وبلِّغْ رسالتي إلى الدنيا. ولم تكن هذه بمهمة سهلة. فلقد رأيتَ أن الله تعالى لما أمر موسى ﷺ بأن يذهب إلى فرعون ويبلغه رسالة الله تعالى قال موسى خائفًا ﴿واجعَلْ لي وزيرًا مِن أهلي﴾ (طه: ٣٠).. أي رب إنه عبء ثقيل ولن أستطيع حمله وحدي، فاجعل مساعدًا لي من أهلي. ولكن النبي ﷺ لم يقل هذا، بل إن الله تعالى لما أمره أن يذهب ويبلغ رسالته إلى الدنيا، تحمّلَ هذا العبء بمفرده، وخرج لتبليغ رسالة الله تعالى. فلما أتى بيته حكى لزوجته خديجة – رضي الله عنها – كل ما جرى له، ثم قال لها «قد خشيتُ على نفسي» (البخاري، كتاب بدء الوحي).. أي لقد عهد الله إلي مسؤولية كبيرة جدًّا، ولا أدرى هل سأستطيع القيام بها أم

لا؟ وكانت خديجة رضي الله عنها قد شهدت حياته المباركة بأم عينها فقالت من فورها: «كلا، واللهِ لا يُخزيك الله أبدًا. إنك لتصِل الرَّحِمَ وتحمِل الكَلَّ، وتكسِب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق» (المرجع السابق).. أي أنك تعامل الأقارب بالحسنى، وتسعى دائمًا لحمل أعباء الآخرين، وتحاول إحياء الأخلاق الفاضلة التي قد اندثرت من الدنيا، وتكرم الضيف، وتعين الأبرياء في مشاكلهم التي يقعون فيها من غير جريمة؛ فكيف يمكن إذًا أن يخذل الله تعالى شخصًا يتصف بهذه الصفات الرائعة؟

إن أكبر شاهد على أخلاق الإنسان وسيرته في الدنيا هو زوجته التي تشاهد أحواله بكرة وعشيًّا. لذا فإن هذه الشهادة لأقوى الشهادات. وهي تؤكد أن الرسول ﷺ كان بالفعل ﴿طه﴾.. أي رجلاً تجلّت فيه جميع الفضائل والمحاسن التي يجب توافرها في الإنسان الكامل أكملَ تجلٍّ وأروعَه. فإننا حين نمعن النظر في وقائع حياته ﷺ بالتفصيل نعلم أن الله تعالى قد أودعه قبل ولادته جميع المحاسن التي يجب توافرها في رجل كامل القوى، ليكون ﷺ أسوة حسنة للناس بجميع أصنافهم وشرائحهم. نحن لا ننكر أن المسيح عليه السلام كان نبيًا عظيمًا، ولكنه لم يكن نموذجًا للناس في كل زمن ومن كل صنف. فمثلا لا دليل في الإنجيل على زواج المسيح عليه السلام، فلا يمكن إذًا أن يكون أسوة للمتزوجين. كما أنه لم يصبح حاكمًا حتى يقول الملوك والحكام اليوم أنه أسوة لنا نحن الملوك أيضًا. أما محمد رسول الله ﷺ فقد مر بكل أنواع الظروف والأحوال، وبالتالي كان أسوة منقطعة النظير للناس من كل الطبقات والشرائح أجمعين.

ثم إنه ﷺ تحلى في جميع مراحل حياته بأروع خُلق وأطيب سيرة، مما كان دليلاً ساطعًا على أنه قد أُودع القوى الروحانية على وجه التمام والكمال. وعلى سبيل المثال، توفي والده ﷺ قبل ولادته، كما انتقلت أمه ﷺ إلى بارئها وهو صغير جدًّا. ولكنه ﷺ كان مثالاً رائعًا في دماثة الأخلاق حين كان عند جده الذي تولى كفالته مكان أبيه. إن أمر الطفل اليتيم لا يخلو من أحد الحالين: فإما أن تفسد أخلاقه نتيجة التدليل المفرط، أو تموت مواهبه نتيجة الإهمال. فلو كان اليتيم عند قوم يدللونه في كل حين شفقة عليه لفسدت أخلاقه كلية، أما إذا كان في بيت لا يعامله أهله كما يعاملون أولادهم لفقد الهمة والعزيمة. ولكن النبي ﷺ كان رائع السيرة منذ طفولته. فقد شهد أقرانه وزملاؤه أنه لم يكن قليل الصبر عند الأكل والشرب كالصغار، بل كان يظل جالسًا في مكانه بهدوء ووقار حتى تدعوه عمته وتعطيه نصيبه من الأكل، فكان يتناوله أيضًا بوقار. تشهد أمه من الرضاعة أنه ﷺ كان وقورًا ومؤدبًا حتى كان الصبيان يستغربون منه. ويقول إخوته من الرضاعة إنه ﷺ يتجنب اللغو من الألعاب. كان ﷺ يحبّ المزاح، ولكنه يكره الكذب وقول الزور كراهة شديدة. كان ﷺ شديد المواساة بالناس في تلك السن الصغيرة أيضًا حتى إن الصغار كانوا يعدّونه رئيسًا. (تاريخ الخميس، الجزء الأول ص ٢٢٥).

ثم إنه كان بارًّا بعمه أبي طالب وعمته بحيث لا نجد نظيراً لمثل ذلك البرّ عند الأولاد الحقيقيين أيضًا. لما فتح مكة سأله ﷺ الناس يا رسول الله، أين ستقيم؟ فأجاب من غير غضب: وهل ترك لنا عقيل بيتًا حتى نقيم فيه؟ وكان يعني أن أبناء عمه ﷺ قد باعوا بيته ﷺ أيضًا، فلم يبق له بيت يقيم فيه (البخاري: كتاب السير والجهاد).

ثم إن النبي ﷺ لم يحبّ عمه أبا طالب حُبَّ الولد والده فحسب، بل أوصى الآخرين أيضًا بألا يقولوا لوالديهم أُفٍّ.

وبعدها دخل النبي ﷺ في سنّ الفتوة والشباب وهو سن لا يكترث فيها الناس لما يفعلون. ولم يكن لدى العرب عندئذ أي رادع قانوني أو خُلقي. فكان المرء منهم يتفاخر على الملأ بعلاقته غير المشروعة بامرأة أو فتاة. (يُتبع) .

مِن نَسائِمِ الرَّوضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

أخلاق المسلم في ضوء السنة النبوية

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَنَافَسُوا وَلا تَحَاسَدُوا ولا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ. فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (صحيح مسلم، كتاب القدر)

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً». (صحيح البخاري، كتاب البيوع)





هكذا تكلم المسيح الموعود

في فساد الزمان وغلبة الدنيا

وأمّا عامة الناس من المسلمين، فقد تبع أكثرُهم الشياطينَ. وترى أحداثَهم وشيوخهم منهمكين في السيئات، وترى بَلْباهَم لدُنياهم وللبنين والبنات. يميلون عن الحق عند الخصام والمِراء، ويحضرون المحاكماتِ لغصبِ حقوق الشركاء. يريدون أن يدُعّوا الإخوان ويستخلصوا لنفوسهم حقوقَ الإرث، ولا يذكرون يوم الجزاء لا على وجه الجِدّ ولا العبث. ويعريهم اكتئاب واضطراب لفوتِ شيء من هذه الدار، ولا يتهيّج أسفُهم على فوت الدين كله كالكُفّار. يموتون للدنيا ولا يخبو ضَجَرُهم ولا ينصُل كَمَدُهم، ولا يَجمُون ليومٍ يغضب فيه مولاهم وصَمَدُهم. ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وما بقي لهم به من حسّ وماتت قلوبهم، فلا يُفيقون من هذه الغَشْية، وأوردوا أنفسَهم موردَ سخطِ الله ثم لا يتركون مَسرَى الفَجَرة. لا يَسْرُون إلا المسرى الذي يخالف طرق الورع، ولو نُدِّدَ بأنه من مناهي الشرع. يحسبون بَوْلَ إبليس مُزْنةً، ورَوْثَ النَّعَم نعمةً. بلغ الزمان إلى الانقطاع، وما انقطعت مادّةُ زيغهم الذي دخلتْهم من الرضاع. أَصْبَتْهم الذمائم، مُذْ مِيطتْ عنهم التمائم، واستسَنَوْا زينةَ الدنيا وقيمتَها، وحسبوا جَهامها صَيِّبًا واستَغْزَروا ديمتَها، واستأنسوا بجَمالها، وولعوا ببغالها وجمالها، وخدَعهم حلاوةُ عشرتِها، وتجمُّلُ قشرتِها، وطراوةُ بُسْرتِها، وتألُّقُ بَشرتِها، وما أمعنوا النظر في توسُّمها، وما سرّحوا الطرف في ميسمها، وهنَّأوا نفوسهم بالزُور، وابتدروا استلامَ يدِ المَكّار الغَرور. جهلوا جُدرانَها المتهافتة برؤية شِيدِها، وخُلِبوا بعماراتها وما تَذكّروا قصصَ حصيدها. وإن إيمانهم أحالَ صفاتِه الأولى، وغاب روحُه وما بقي إلا الهُيُولى. وبدعاتُ علمائهم غيّرتْ صورة الإسلام، وأَرَتْه كأرنبٍ مع كونه كالضِرْغام، فترى اليوم بَرْقَه خُلّبًا، والدهرَ به قُلّبًا، وكلٌّ من الأقران يريد أن يبلَعه، ويقصد كلُّ عدوّ أن يقلَعه. العلوم الطبعية تُضرّي به الخطوبَ، وكذلك الهيئةُ* أحمى الحروبَ. وفي طرفٍ، أقمَرَ ليلُ البراهمة، وصالوا علينا بإفراط القوة الواهمة، ومِن جانبٍ، نَهَضَ الفلاسفةُ وطغوا ولا تطغى كمثله الرياحُ العاصفة.

* أي علمُ الفَلك والهيئة. (التقوى)

(لجة النور ص ١٩-٢٠)

نهاية حروب الردة في الجزيرة العربية، وبدء التفكير في حركة الفتوحات الإسلامية

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٧/١٥م
في مسجد مبارك بإسلام آباد، بريطانيا

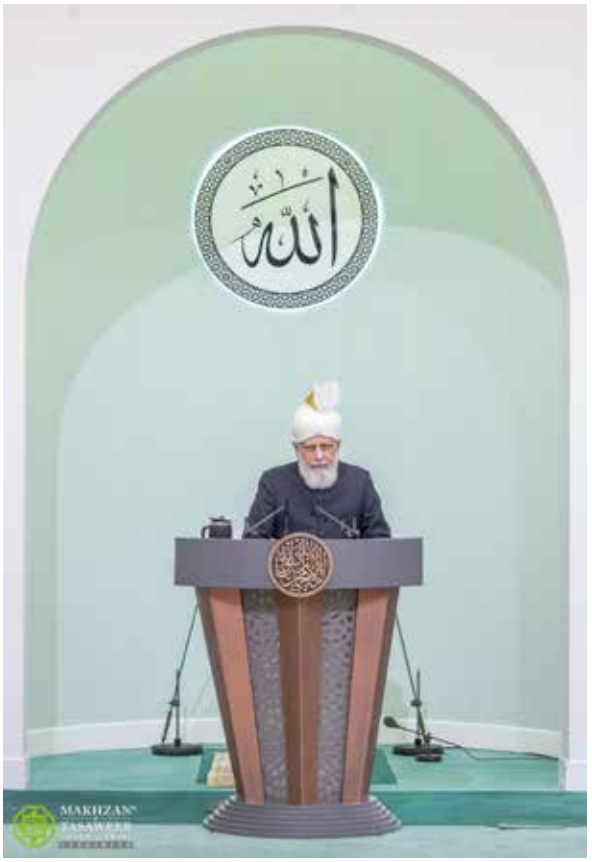
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

نجاح آخر البعوث الإسلامية لمقاومة المتمردين

كنا بصدد ذكر بعوث المسلمين ضد المرتدين المتمردين، ومن ضمنها كانت بعثة المهاجر وعكرمة لمواجهة المرتدين في مناطق كندة وحضرموت، وقد ورد عنها مزيد:

وحينما استقر المهاجر في صنعاء كتب إلى أبي بكر بما قام به وبما استقر عليه وبقي ينتظر الرد منه، وفي الوقت نفسه كتب معاذ بن جبل وبقية عمال اليمن الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر يستأذنونه في العودة إلى المدينة، فجاءت ردود أبي بكر مطلقة حق الاختيار لمعاذ ومن معه من العمال بالبقاء أو العودة والاستخلاف على عمل كل من رجع، فرجعوا جميعًا. وأما المهاجر فقد تلقى الأمر بالتوجه لملاقاة عكرمة، وأن يسيرا معًا إلى حضرموت لمعاونة زياد بن لبيد، وإقراره على ما هو عليه وأمره أن يأذن لمن معه من الذين قاتلوا بين مكة واليمن في العودة، (أي يمكنهم العودة إذا أرادوا ولكن الأرجح أن يؤثروا الاشتراك في الجهاد) إلا أن يؤثر قومٌ الجهاد.

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»



تلقى عكرمة كتاب أبي بكر يأمره فيه بالتوجه إلى المهاجر بن أبي أمية القادم من صنعاء، ثم يسيرا معًا إلى قبيلة كندة. وخرج من المهرة بعد تلقيه هذا الكتاب، ومكث في «أبيَن» ينتظر المهاجر بن أبي أمية.

و»أبين» اسم قرية في اليمن.

ويتحدث الطبري في تاريخ الأمم والملوك عن التحركات ضد المرتدين من قبيلة كندة، فيقول:

وقبل ردتهم حين أسلم أهل كندة وأسلم أهل بلاد حضرموت كلهم أمر رسول الله ﷺ بما يوضع من الصدقات أن يوضع من بعض صدقات حضرموت في كندة ويوضع بعض صدقات كندة في حضرموت (أي تُرسَل هذه الصدقة إلى ذلك المكان ليتم إنفاق صدقة البعض على بعضهم) وبعض حضرموت في السكون، والسكون في بعض حضرموت، فقال نفر من كندة:

يا رسول الله إنا لسنا بأصحاب إبل فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظهر، فقال (رسول الله ﷺ لأهل حضرموت) إن رأيتم (فافعلوا). قالوا: فإنا ننظر فإن لم يكن لهم ظهر فعلْنا.

فلما توفي رسول الله ﷺ وجاء ذلك الوقت، دعا زياد الناس إلى ذلك فحضروه فقالت بنو وليعة (أي أهل كندة): أبلغونا (أموال الصدقة) كما وعدتم رسول الله ﷺ، فقالوا إنّ لكم ظهرًا فهلموا فاحتَملوا (أموال الزكاة). فأبى الحضارمة (إيصال أموال الزكاة) ولجَّ الكِنْدِيُّون، فرجعوا إلى دارهم (متذبذبين) وقدّموا رِجلا وأخّروا أخرى وأمسك عنهم زياد انتظارا للمهاجر. (أي لم يقم بأي تحرك ضد مانعي الزكاة هؤلاء، وانتظر حتى يقدم المهاجر).

فلما كتب أبو بكر إلى المهاجر وعكرمة أن يسيرا حتى يقدما حضرموت وأقر زيادا على عمله، وأْذن لمن معك من بين مكة واليمن في القفل، إلا أن يؤثر قوم الجهاد، وأمدّه بعبيدة ان سعد، ففعل، فسار المهاجر من صنعاء يريد حضرموت وسار عكرمة من أبْيَنَ يريد حضرموت فالتقيا بمأرب ثم فَوَزا من (صحراء) صهيد حتى اقتحما حضرموت.[1]

حين رجع الكنديون ولجوا وَلِي زياد صدقات بني عمرو بنفسه، أعطى غلام لزياد (خطأً) بكرة أخيه من الصدقة، فوَضَعَ عليه الميسم (أي ختمها أنها ملك لبيت المال ومن أموال الصدقة)، فلما أراد استبدالها (متحججًا أنه حصل ذلك خطأ) ظن زياد أنه يتحايل، فلم يرض، فنادى الغلامُ أهل قبيلته واستنصر أبا السميط، فأقبل أبو السميط وطلب من زياد استبدال بكرته، إلا أن

زياد أصر على موقفه فغضب أبو السميط وأطلق عقالا للبكرة، فاعتقل زياد أبا السميط وأصحابه، وأخذ البكرة فعقلها، وتصايحوا وتنادوا، فجاء بنو معاوية لمساعدة أبي السميط، (وبنو معاوية هم بنو الحارث بن معاوية وبنو عمرو بن معاوية من فروع كِندة)

وطالبوا زياد بالإفراج عن رفاقهم، لكن زيادًا رفض الإفراج عن الأسرى حتى يتم تفريقهم وقال لهم إذا تفرقتم من هنا فسأنظر في الموضوع. وعندما لم يتفرق هؤلاء، هاجمهم زياد وقتل الكثير من رجالهم، وهرب بعضهم من هناك.

فلما عاد زياد أطلق سراح أسراهم. لكنهم عادوا يستعدون للحرب بعد رجوعهم. فتحصّن بنو عمر وبنو الحارث والأشعث بن قيس والسمط بن الأسود في حصونهم. ورفضوا دفع الزكاة وارتدوا. فجمع زياد جيشًا وهاجم بني عمرو وقتل الكثيرين من رجالهم وفرّ من كان بإمكانه الفرار، وأسر زياد عددًا كبيراً منهم وأرسلهم إلى المدينة المنورة. وفي الطريق هاجم الناس من بني الأشعث وبني الحارث وحرروا أسراهم من المسلمين. بعد هذه الحادثة، انضم إليهم عدد من قبائل المناطق المجاورة وأعلنوا هم الآخرون الردة، وإثر ذلك كتب زياد رسالة إلى المهاجر طلبًا للمساعدة. استخلف المهاجرُ عكرمة وهاجم كندة مع أصحابه. هرب أهل كندة وتحصّنوا بأحد حصونهم، والمسمالنجير. وكان حصنا باليمن على مقربة من حضرموت. وكانت هناك ثلاثة طرق لهذا الحصن، نزل زياد في طريق منها، وعسكر المهاجر في الآخر، وظل الطريق الثـالث تحت سيطرة أهل كندة، حتى وصل عـكرمة واحتل هذا الطـريق.



كان جيش زياد والمهاجر رضي الله عنهما مؤلفا من خمسة آلاف من الصحابة المهاجرين والأنصار وأفراد القبائل الأخرى. وعندما رأى الأعداء المحصورون في حصنِ النجير أن المسلمين يتلقون مددا مستمرا استولى عليهم الخوف، فلم يلبث زعيمهم الأشعث أن أتى إلى عكرمة طالبا منه الأمان. فأتى عكرمة بالأشعث إلى المهاجر. فطلب منه الأشعثُ الأمان لنفسه ولتسعة آخرين معه على أن يفتح باب الحصن للمسلمين. فقبِل المهاجر ﷺ عرضه. وعندما كتب الأشعثأسماء ٩ أشخاص معه، نسي كتابة اسمه بسبب العجلة والذعر، ثم أتي بالكتاب إلى المهاجر، فختم عليه. ثم رجع الأشعث، وفتح باب الحصن، فدخله المسلمون. فقاتلهم أهل الحصن، فقُتل من أهل كندة سبع مئة رجل وسُبيت ألف امرأة.

ثم طلب المهاجر ﷺ عقد الصلح وعفا عن جميع الأشخاص المدرجين فيه، ولم يكن بينهم اسم الأشعث. فقصد المهاجر قتْلَه، ولكن بناءً على طلب من عكرمة أرسلَ الأشعثَمع الأسرى الآخرين إلى أبي بكر ﷺ، ليفصل في أمره.

فلما أتى المسلمون أبا بكر ﷺ ببشرى النصر وبالأسرى دعا الأشعثَوقال له: لقد خدعك بنو وليعة، وما كان لك أن تخدعهم، ولا يرونك أهلا لذلك، فأهلكوا أنفسهم وإياك أيضًا، ألا تخشى أن يصيبك جزء من دعاء رسول الله ﷺ؟ وكان النبي ﷺ لعن أربعة من زعماء كندة الذين أتوه مع الأشعث وأسلموا ثم ارتدوا.

فلما أتى المسلمون أبا بكر ﷺ ببشرى النصر وبالأسرى دعا الأشعثَوقال له: لقد خدعك بنو وليعة، وما كان لك أن تخدعهم، ولا يرونك أهلا لذلك، فأهلكوا أنفسهم وإياك أيضًا، ألا تخشى أن يصيبك جزء من دعاء رسول الله ﷺ؟ وكان النبي ﷺ لعن أربعة من زعماء كندة الذين أتوه مع الأشعث وأسلموا ثم ارتدوا.

وقال أبو بكر للأشعث: ماذا ترى أني فاعل بك؟ قال: لا أعرف. قال: «أرى أنه يجب قتلُك». قال الأشعث: «أنا الذي عقدت عهد الصلح والعفو عن عشرة رجال من قومي، فكيف يجوز قتلي؟ قال أبو بكر: هل كان المسلمون الذين جعلوا لك هذا الأمر؟ قال نعم! قال: إذا كانوا قد جعلوا لك هذا الأمر ثم أتيت به إليهم، فهل أمضوا على عقد الصلح معك؟ قال نعم. قال: ما داموا قد ختموا على العقد فقد وجب الصلح بحسب العقد المكتوب، وقد كنتَ تتحدث عن الصلح فقط قبل ذلك.

فخشي الأشعثُ القتلَ، فقال: إذا كنتَ تتوقع مني الخير، فأطلقْ سراح هؤلاء الأسرى، واغفرْ لي أخطائي واقبلْ إسلامي، وافعْل بي ما تفعل بالناس مثلي، وأرجعْ إليّ زوجتي.

ورد أنه قبْل هذا الحادث أن الأشعث جاء مرة إلى رسول الله ﷺ، وطلب يدَ أختِ أبي بكر أمّ فروة بنت أبي قحافة، وكان أبو قحافة ﷺ زوّج منه ابنته هذه، وأجّل زفافها حتى يعود الأشعثُ ثانية. وقال أحد الكتّاب أن أم فروة هي بنت أبي بكر ﷺ.

على كل حال، لما توفي النبي ﷺ ارتد الأشعثُ وتمرد، فخاف ألا تُزَفّ إليه زوجته.

فقال لأبي بكر: ستجدني لدين الله من أفضل الناس في منطقتي. فعفا عنه أبو بكر وقبِل إسلامه، وأرجعَ له أهله، وقال له: اذهبْ وَلْتَصِلْني عنك أخبار سارة. كما أطلق أبو بكر سراح جميع الأسرى، فرجعوا جميعًا إلى مناطقهم. وفي رواية: لم يجرؤ الأشعثُ على العودة إلى قبيلته بسبب مخالفته لعهده مع قومه، وأقام مع أم فروة في المدينة بعد إطلاق سراحه. ثم لما بدأت الحروب في العراق والشام في عهد عمر ﷺ خرج الأشعثُ مع الجيوش الإسلامية لقتال الفرس والروم، وأبلى فيها بلاء حسنا، مما أعاد له اعتباره وعزته في أعين الناس.

باختصار، أقام المهاجر وعكرمة بحضرموت بين كندة حتى ساد الأمن والاستقرار تماما وقامت الدولة الإسلامية على أسس متينة. كانت هذه آخر الحروب ضد المرتدين المتمردين، وبعدها قُضى على الثورة في بلاد العرب وخضعت كل القبائل للدولة الإسلامية.

وعمل المهاجر ﷺ لتوطيد الأمن والسلام في هذه الأرجاء وللقضاء على أسباب التمرد والبغي فيها قضاء تاما بنفس الصرامة والشدة التي عمل بها في اليمن من قبل.

وكتب أبو بكر إلى المهاجر رضي الله عنهما وخيّره بين العمل في اليمن أو حضرموت، فاختار اليمن وهكذا

عُين أميران على اليمن. وكتب أبو بكر ﷺ لعماله الذين كُلِّفوا بالقضاء على المرتدين المتمردين: أما بعد فإني أحب أن لا تستعملوا في الحُكم إلا الذين لم يتلطخوا بوصمة الارتداد والتمرد وإن كانوا قد عادوا إلى الإسلام ثانية. ثم قال يجب أن تعملوا بأمري هذا والتزموا به دوما. إن الذين يريدون العودة من الجيش فائذنوا لهم بالعودة، لكن لا تستعينوا بمرتد باغ في القتال ضد الأعداء أبدا.

دحضا لمزاعم المودودي

عند ذكر حروب أبي بكر هذه، يقول معظم الكتّاب وخاصة كتاب السيَر في هذا العصر عموما، إنها كلها كانت جهادًا شنَّه ضد المتنبئين الكاذبين، وأبادهم بقوة السيف؛ بدعوى أن هذا كان عقابهم في الشرع. ولكن دارس التاريخ والسيرة لن يؤيد هذا الرأي أبدا.

وكما ذكرت من قبل على ضوء الأحاديث المباركة فإن القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يؤكدان أن النبي ﷺ لم يتخذ أي إجراء ضد المتنبئين لمجرد ادعائهم النبوة، كما لم تكن المهمات الحربية التي خاضها أبو بكر ﷺ لمجرد هدف القضاء على المتنبئين الكاذبين، وإنما كان سببها تمرد هؤلاء البغاة الطغاة.

فلماذا حارب الصحابة مدعي النبوة؟ قال حضرة المصلح الموعود ﷺ موضحا هذا الأمر:

تصريح الشيخ المودودي بأن الصحابة قاتلوا كل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ هو ضد أقوال الصحابة. على الشيخ المودودي أن يتذكر (قال ﷺ ذلك في حياة المودودي) أن الذين تنبّؤوا بعد الرسول الكريم ﷺ وقاتلهم الصحابة كانوا كلهم ممن تمردوا على الحكم الإسلامي وأعلنوا الحرب على الحكم الإسلامي. يدعي المودودي أنه قرأ كثيرا الأدبيات الإسلامية. ليته كان قرأ التاريخ الإسلامي قبل إبداء رأيه في هذا الأمر حتى يعرف أن مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وسجاح بنت الحارث وطليحة بن خويلد الأسدي جميعهم كانوا ممن رفضوا الانصياع للحكومة في المدينة، وأعلنوا عن حكومات مستقلة في مناطقهم. قال المصلح الموعود ﷺ: لو كان المودودي تحمل عناء قراءة تاريخ ابن خلدون (المجلد الثاني، الصفحة ٦٥) لتبين له خطأ رأيه، فلقد وردت هناك العبارة التالية: «قد جاء الخبر بارتداد العرب عامة وخاصة إلا قريشا وثقيفا، واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غطفان وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة، وارتد خواص من بني سليم، وكذا سائر الناس بكل مكان، وقَدِمت رسل النبي ﷺ من اليمن واليمامة وبني أسد ومن الأمراء من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة وحاربهم بالكتب والرسل. وانتظر (أبو بكر ﷺ) بمصادمتهم قدوم أسامة فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا في الأبرق ونزل آخرون بذي القصة ومعهم حبال من بني أسد ومن انتسب إليهم من بني كنانة، وبعثوا وفدا إلى أبي بكر ﷺ نزلوا على وجوه من الناس يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة، فأبى أبو بكر ذلك.»[٢]

كتب المصلح الموعود ﷺ: يتضح من هذه العبارة أن الذين قاتلهم الصحابة كانوا متمردين على الحكومة الذين رفضوا دفع الضرائب وهاجموا المدينة المنورة. (كانوا اجتمعوا حول المدينة ليهاجموها في حالة عدم قبول مطالبتهم) وكان مسيلمة نفسه قد كتب إلى النبي الكريم ﷺ في حياته: «لقد أمرت أن نصف الأرض لنا ونصفها ملك قريش». وبعد وفاة النبي ﷺ طرد ثمامة بن أثال من حجر واليمامة وهو من عيَّنه النبي ﷺ حاكمًا عليهما، وبالتالي صار

مسيلمة نفسه حاكمًا على المنطقة وهاجم المسلمين. وكذلك سجن صحابيين من المدينة حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب، وقهرهما على الإيمان بنبوته. (كما ذكرت سابقا) أطاعه عبد الله بن وهب خوفا، لكن حبيب بن زيد رفض طاعته، فقطع مسيلمة أطرافه طرفًا طرفًا وأحرقه بالنار. كذلك، في اليمن أيضا سُجن بعض العمال الذين عيّنهم الرسول الكريم ﷺ وحُكم على بعضهم بعقوبات شديدة.

كذلك كتب الطبري أن الأسود العنسي أيضا رفع لواء التمرد وضايق العمال الذين عينهم الرسول الكريم ﷺ وأمر بسلب أموال الزكاة منهم. ثم هاجم حاكم صنعاء شَهْر بن بَاذَان الذي عينه الرسول الكريم ﷺ، وقتل العديد من المسلمين ونهب الكثيرين منهم، وقتل الحاكم، وبعد قتله تزوج من زوجته المسلمة قسرا. كما ثار أهل نجران وانضموا هم أيضا إلى الأسود العنسي وطردوا الصحابيين عمرو بن حزم وخالد بن سعيد من المنطقة.

يتضح من هذه الوقائع أن المدعين بالنبوة لم يواجَهوا لأنهم زعموا أنهم أنبياء من أمة الرسول الكريم ﷺ وكانوا مدعين لنشر دين الرسول الكريم ﷺ. بل حاربهم الصحابة لأنهم كانوا يلغون الشريعة الإسلامية ويصدرون قوانينهم الخاصة ويطالبون بالحكم في منطقتهم، ولا يطالبون فقط بحكومة المنطقة ولكنهم قتلوا الصحابة، وغزوا البلاد الإسلامية، وتمردوا على الحكومة القائمة وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم. وفي مواجهة هذه الحوادث إن قال المودودي إن جميع أصحاب الرسول ﷺ واجهوا مدعي النبوة كلهم، فإذا لم تكن هذه كذبة فماذا إذن؟ إذا قال قائل إن الصحابة كانوا يبررون قتل البشر، فهل يكون ذلك صحيحًا لمجرد أن مسيلمة الكذاب أيضًا كان إنسانًا وأن أسود العنسي كان أيضًا إنسانًا؟ قال حضرته رضي الله عنه: الذين يقدمون تاريخ الإسلام مشوها لا يخدمون الإسلام قط، فإذا كانوا يتوخون خدمة الإسلام فليعطوا الأولوية للصدق وليمتنعوا عن تحريف الأحداث وتشويهها.[٣]

تعزيز الوحدة الدينية

الحاصل أنه بعد القضاء على هؤلاء المتمردين انتهت كل تيارات التمرد في المناطق العربية. كتب أحد المؤرخين: الآن كانت قد انتهت كل تيارات التمرد في المناطق العربية وكان قُمع كل المرتدين. وإنّ تغلّب أبي بكر الصديق رضي الله عنه على الفتنة السائدة في جميع أقطار الدولة بهذا التخطيط والسرعة لدليل واضح على كفاءاته العظيمة، وكان واضحًا أنه كان حائزا على التأييد الإلهي عند كل خطوة. وكان إنجازًا رائعًا لأبي بكر الصديق تغلبه على الفتنة والردة والتمرد وإعادة إرساء حكم الإسلام في الجزيرة العربية في أقل من عام. كان حضرة أبي بكر الصديق سعيدًا جدًا بانتصار الإسلام، ولكن في هذه السعادة لم يكن عنده شيء من التكبّر والغطرسة، لأنه كان يعلم أن ما حدث كان فقط بفضل الله ورحمته. فلم يكن لديه القوة لمجابهة قوى جنود المرتدين من العرب كلهم وبجيوشهم ثم هزيمتهم كلهم ورفع راية الإسلام بكل قوة من خلال حفنة من المسلمين.

كان السؤال المطروح أمام حضرة أبي بكر الصديق الآن هو

ما هي الخطوات التي يجب اتخاذها لتعزيز الوحدة الدينية والوصول بالإسلام إلى ذروته؟ تركزت سياسة حضرة أبي بكر الصديق في نشر الإسلام وظلت هذه الرغبة في قلبه وذهنه في كل لحظة.

بعد القضاء على الثوار المرتدين، اقتنع الجميع أنه لا يمكن لأي متمرد فتَّان أن يثبت أمام خليفة الرسول. لكن لم يكن أبو بكر متفائلا كثيرا مثل عامة الناس. لأنه كان يعلم أن القوى الخارجية يمكن أن تعيد إشعال كابوس الردة والتمرد ونشر الاضطرابات، من أجل تجنب التمرد المتوقع للقبائل العربية، كان من المناسب تحويل انتباه القبائل العربية إلى فارس وبلاد الشام حتى لا تتاح لهم الفرصة لإثارة المشاكل ضد الحكومة وبالتالي يعيش المسلمون في طمأنينة ويتمكنوا من ممارسة الدين بطيب الخاطر.

لذلك، من أجل الدفاع عن حدود الجزيرة العربية وحماية الدولة الإسلامية من أقوى منافسيها، كان من الضروري نقل رسالة الإسلام إلى هذه الدول القوية حتى يتمكنوا من عيش حياتهم في سلام وأمن من خلال قبول أو فهم رسالة الإسلام الكونية، ويمكن للآخرين أيضًا أن يتحرروا من قيودهم ويمارسوا شعائرهم الدينية بحرية بسلام وأمان

.



بدء التفكير في حركة الفتوحات الإسلامية

وقد ورد في كتب التاريخ ذكر أن أبا بكر أجال النظر في الاستراتيجية المستقبلية التي يجب اختيارها بعد نهاية ثورة المرتدين ومهماتهم العسكرية وكان يفكر في الخطوات والإجراءات التي يجب اتخاذها للحماية الدائمة من سلطنة الفرس والروم المعادية القديمة للعرب والإسلام. لما كانت هاتان السلطنتان تريدان الغلبة على العرب في حياة رسول الله ﷺ أيضا، لذا كانت الحكومتان المذكورتان وراء إشعال نار ارتداد كثير من المناطق والقبائل وتمردها على المدينة من قبل كثير من المناطق والقبائل بعد وفاة النبي ﷺ. وبدأت جيوش هرقل بالاجتماع في الشام، وجيوش الفرس بالاجتماع في العراق مغتنمة هذه الفرصة. لذا لم يكن ممكنا لأبي بكر– الذي كان قد أرسل سلفا أول جيش إسلامي تحت إمرة أسامة لمواجهة الرومان – أن يغفل عن تلك القوى المستبدة والظالمة. ولكن قبل أن يضع أبو بكر رضي الله عنه خطة أمام الجميع، علِم أن المثنى بن الحارثة الذي كان قد ساعد في القضاء على تمرد الثوار

الحاصل أنه بعد القضاء على هؤلاء المتمردين انتهت كل تيارات التمرد في المناطق العربية. كتب أحد المؤرخين: الآن كانت قد انتهت كل تيارات التمرد في المناطق العربية وكان قُمِعَ كل المرتدين. وإنّ تغلّب أبي بكر الصديق ﷺ على الفتنة السائدة في جميع أقطار الدولة بهذا التخطيط والسرعة لدليل واضح على كفاءاته العظيمة، وكان واضحًا أنه كان حائزا على التأييد الإلهي عند كل خطوة. وكان إنجازًا رائعًا لأبي بكر الصديق تغلبه على الفتنة والردة والتمرد وإعادة إرساء حكم الإسلام في الجزيرة العربية...

المرتدين في البحرين بدأ يتقدم مع أصحابه إلى العراق في الشمال على سواحل الفرس، حتى انضم إليه قبائل العرب التي كانت تسكن في مناطق دجلة والفرات الساحلية. كان المثنى بن الحارثة من قبيلة بكر بن وائل البحرينية. إن منطقة البحرين كانت تقع بين اليمامة وخليج فارس وتتضمن منطقة قطر والإمارات والبحرين الحالية وكانت عاصمتها «دارين». على أية حال، كان المثنى بن الحارثة قد قاتل سابقا مع العلاء بن الحضرمي ضد المتمردين وكان قائد الذين ثبتوا على الإسلام في البحرين والمناطق المجاورة لها والذين اشتركوا مع الجيش الإسلامي في الحروب ضد المتمردين. ما كان أبو بكر ﷺ قد أخذ قرارا نهائيا بعد بشأن الخطوات المستقبلية حتى جاء المثنى إلى المدينة وأخبر أبا بكر ﷺ عن الظروف السائدة في العراق، وقال بأن القبائل العربية التي استقرت بدلتا النهرين يستولي دهاقين الفرس على غلتها، ورأى أن من الواجب على المسلمين أن يقوموا بتأمين العرب من أهلها بإرسال الجيش الإسلامي. استشار أبو بكر أصحابه وعرض عليهم ما جاء به المثنى من الأنباء فرأوا أن الأمر في حاجة إلى رأي خالد بن الوليد ليروا ما يجب فعله. وكان خالد باليمامة، استدعاه أبو بكر على عجل فحضر، ولم يتردد خالد حين عرف ما جاء المثنى به عن الإشارة إلى ما قد يترتب من النتائج على مقاومة الفرس لجيش بن حارثة، فقد يدعوهم انتصارهم إلى التفكير في استرداد نفوذهم في البحرين وما جاورها. وفي هذه الحالة ستواجه الحكومة الإسلامية خطرا محدقا.



فقال: لا بد تفاديا لهذا الخطر أن يُرسل إلى هناك جيش تحت إمرة المثنى بغية إكراه الفرس على التقهقر أكثر بدلا من أن يستردوا نفوذهم في حدود بلاد عربية حتى لا يواجه العرب الخطر من قِبلهم في المستقبل.

قَبِل أبو بكر ﷺ والآخرون أيضا هذا الرأي من خالد بن الوليد، فعيّن أبو بكر ﷺ المثنى بن الحارثة قائدا عليهم فتقدم معهم إلى حدود العراق، وأمرهم أن يميلوا أولا إلى القبائل العربية المحلية ويطلبوا منهم الانضمام إليهم وقبول الإسلام، وقال أيضا أن جيشا سيُرسل من المدينة عونا له حتى يتمكن من المزيد من التقدم مدعوما بهذا الجيش.

يرى بعض المؤرخين أن المثنى لم يذهب إلى المدينة طالبا العونَ ولم يلق أبا بكر ﷺ بل ظل يتقدم مع جيشه في مناطق الدلتا وقطع مسافة طويلة حتى واجه هنالك قائد الفرس، هُرمز الذي كان حينذاك قائد الجيوش على الحدود وكان من الحائزين على أعلى مرتبة ممكنة عند كسرى.

كانت الحرب جارية بين هرمز والمثنى حتى علم بها أبو بكر ﷺ، وكان إلى ذلك الوقت لا يعرف شيئا عن اسم المثنى، وعند بلوغ هذه الأخبار حين بدأ تقصي الحقائق تبين له أن المثنى قد أحرز إنجازات عدة في الحروب ضد المرتدين المتمردين في البحرين، فأمر سيدنا أبو بكر خالدَ بن الوليد أن يسير مع الجيش إلى العراق لمساعدة المثنى وبعد الانتصار على هرمز يتوجه إلى الحِيرة، وهي مدينة على مسافة ثلاثة أميال من الكوفة. وأمر عياضَ بن غنم أن يسير إلى دومة الجندل (وهي قرية وقلعة بين الشام والمدينة وكانت تبعد عن المدينة مسافة خمسة عشر يوما بحسب الطريق السائد يومذاك للسفر) ليخضع أهلها المتمردين الثوار ثم يسير منها شرقًا إلى الحيرة، وعِيَاض بِنْ غَنْم له صحبة، أسلم قبل الحديبية وشهدها، ولما توفي أبو عبيدة استخلفه بالشام، فأقره عمر وقال: ما أنا بمبدل أميراً أمَّره أبو عبيدة.

وقال سيدنا أبو بكر: فإن بلغها قبل خالد فالأمر فيها له، وخالد فيها من قادته، وإن سبقه خالد إليها فالأمر والقيادة لخالد وعياض من قادته. وفي رواية أن خالد بن الوليد لما فرغ من اليمامة بعثه سيدنا أبو بكر ليسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وفي الابلة، ويأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله ﷻ، فإن أجابوا فحسنًا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلَهم، وأمره أن لا يُكره أحدًا على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الاسلام وإن كان عاد إليه. وأن يضم إليه كلَّ من مر به من المسلمين، ثم شرع سيدنا أبو بكر في تجهيز السرايا لمساعدة سيدنا خالد.



وكان سيدنا خالد بن الوليد قد قسم جيشه إلى ثلاثة أجزاء عند المسير من اليمامة إلى العراق، ولم يبعثهم كلهم على طريق واحد، بل قد بعث

سيدنا المثنى قبل يومين من انطلاقه، وبعث كلا من عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو قبل يوم من انطلاقه هو، وبعد ذلك سار بنفسه، ووعدهم بأن يلقوه في الحفير، لكي يتصادموا مع العدو دفعة واحدة، والحفير هو أول منزل في الطريق من البصرة إلى مكة، وورد عنه أنه كان أقوى حدود فارس وأكبرها شأنا وكان يحكمها هرمز، وكان قائد الجيش هناك يواجه العرب على جبهة برية، وفي الطرف الآخر كان يقاتل أهل الهند في البحر. باختصار كان عدد جنود سيدنا خالد قليلا جدا إذ كان عدد منهم قد قُتل باليمامة، كما كان سيدنا أبو بكر قد أمره أن لا يُكره من لا يريد السير إلى العراق، وإلى جانب ذلك كان هناك توجيه آخر له وهو ألا يكون معه في الغزو أحد ممن ارتد حتى يرى الخليفة رأيه فيه.

وطلب سيدنا خالد إلى سيدنا أبي بكر المدد فأمده برجل واحد فقط هو القعقاع بن عمرو، وعجب قوم وقالوا: أتمد رجلًا قد ارفضّ عنه جنودُه برجل؟! وأجابهم أبو بكر: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا!

ثم بعث كتابا بيد القعقاع إلى خالد كتب فيه أن يرغِّب في الانضمام إلى جيشه من ثبتوا على الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وشاركوا في المعارك ضد المرتدين، فبعد استلام هذه الرسالة بدأ سيدنا خالد يرتب جنده.

وقد ورد عن توصية سيدنا أبي بكر ﷺ واستراتيجيته مع فلاحي العراق؛ لأن العرب في العراق كانوا يعملون فلاحين في أرض العراق، ثم ينالهم القليل من خيره عند الحصاد، أما وافر الخير فيذهب إلى الدهاقين الفُرس الذين كانوا يملكون الأرض وكانوا يسيمون العرب الخسف والظلم، وكانوا يعاملونهم معاملة أسوأ من العبيد، فأصدر سيدنا أبو بكر أوامره إلى قادته بالعراق ألا ينالوا هؤلاء العرب الفلاحين بسوء؛ لا يَقتلون منهم أحدًا، ولا يأخذون منهم أسرى، ولا يسيئون إليهم في أمر يتصل بهم؛ فهم عرب مثلهم، وهم يشعرون بالظلم تحت نير الفرس، فيجب أن يُشعَروا بزوال هذا الظلم حين مقدم العرب، ويجب أن يعمهم العدل الحقيقي والمساواة والحرية على أيدي بني عمومتهم.

وهذه الاستراتيجية لسيدنا أبي بكر ﷺ أفادت المسلمين كثيرا، حيث تيسرت لهم السبل إلى الفتوح ولم يبق عندهم خطرُ أن يهاجَموا من الخلف فتسد طريقهم، وَنَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ النِّبَاجَ (وهو موضع بين البصرة واليمامة) والمثنى معسكر بخفان (وهو موضع قرب الكوفة)، فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيَأْتِيَهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِطَاعَتِهِ.

هذه الرواية كلها من تاريخ الطبري. فقد بعث سيدنا أبو بكر خالدا بنفسه فحصلت معارك، أما أسماء هذه المعارك وكيف انتصر فيها المسلمون فسأذكر ذلك مستقبلا، أي الحروب التي خاضها المسلمون ضد الفرس في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ في مناطق العراق وانتصاراتهم فيها سأتناول ذكرها في المستقبل، إن شاء الله.

الهوامش:

١ - ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك

٢ - ابن خلدون، العبر، وباب المبتدأ والخبر، ... (تاريخ ابن خلدون)، مجلد ٢

٣ — مرزا بشير الدين محمود أحمد، سلسلة أنوار العلوم، ج٢٤ ص١١-١٤، الرد على كتاب المودودي «المسألة القاديانية».



العَالَمُ الحَائِرُ بَيْنَ ذَرِيعَةِ الإِسْلامُوفُوبِيَا وَحَقِيقَةِ الإِسْلَام



المملكة المتحدة
عبادة بربوش

ذريعة الإسلاموفوبيا

أليس السَّلامُ هو تحية الناس فيما بينهم لقاءً وافتراقًا؟ ألم ترد لفظة «السلام» واشتقاقاتها اللغوية في أكثر من ثلاثين موضعًا في القُرآن الكريم؟! أوليس هذا احتفاءً لدين الإسلام بسلوك السلام وتأكيدًا على دوره العظيم فى بناء الفرد والمجتمع؟! ألم يُسَمِّ القرآنُ الكريم الجنَّة التي أعدَّها الله لعباده الصالحين باسم: «دار السَّلام»؟ وجعل تحيَّةَ أهلها فيما بينهم هى كلمة السَّلام؟! فعلام إذن تُصر طائفة منتقدي الإسلام على وصم هذا الدين الحنيف بالإرهاب في كل مناسبة، حتى بات هذا الأمر توجها عالميا فيما يُعرف الآن بالإسلاموفوبيا؟!

في جواب واضح ومركز، قدمه حضرة أمير المؤمنين في أحد اللقاءات التي طُرِح فيها هذا السؤال، قال حضرته: «ذلك لأن غالبية التنظيمات الإرهابية في الوقت الحاضر، كتنظيم القاعدة وطالبان وبوكو حرام وغيرها من التنظيمات الجديدة التي تنشأ يوميًّا يدّعي المنخرطون فيها أنهم مسلمون ويدعون كذلك أنهم

«ذلك لأن غالبية التنظيمات الإرهابية في الوقت الحاضر، كتنظيم القاعدة وطالبان وبوكو حرام وغيرها من التنظيمات الجديدة التي تنشأ يومياً يدّعي المنخرطون فيها أنهم مسلمون ويدعون كذلك أنهم يفعلون ما يفعلون باسم الإسلام. لذا، يعتقد الناس أن الإسلام والإرهاب ربما يكونان اسمين مترادفين للشيء نفسه. فمن واجبنا أن نزيل سوء الفهم هذا.“

يفعلون ما يفعلون باسم الإسلام. لذا، يعتقد الناس أن الإسلام والإرهاب ربما يكونان اسمين مترادفين للشيء نفسه. فمن واجبنا أن نزيل سوء الفهم هذا.“[1] وفي مجموعة خطابات ورسائل لحضرته عن السلام العالمي وكيفية تحقيقه، جمعت لاحقا في الكتاب الموسوم بـ «الأزمة العالمية والطريق إلى السلام»، يحث فيها حضرة أمير المؤمنين من لا يتورعون عن توجيه تهمة الإرهاب إلى الإسلام، يحثهم على فصل الإسلام تمامًا بالإرهاب، فهما على طرفي نقيض. وما تفعله تلك المجموعات الإرهابية تفعله لمصلحتها الشخصية ومن أجل عرض سياسي أو اقتصادي زائل..

إن مرجعنا في كافة التشريعات الإسلامية منحصر في مصدر واحد، هو القرآن الكريم، وأسوتنا ونموذجنا في تطبيقه منحصر في السنة النبوية المطهرة، ومن تعاليم الإسلام الناصعة التي ركز عليها القرآن تعليم السلام والمسالمة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2]. ويتجلى أوضح تطبيق لذلك التعليم فيما فعله النبي الكريم ﷺ عندما فتح الله تعالى على يديه مكة المكرمة، إذ عفا ﷺ عن كل المسيئين إليه، وكان من بينهم قتلة أهله وأحب الناس إليه، كل هذا ناهيك عن تحريم وتجريم القرآن الكريم الطغيان وقتل الأبرياء، بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾[3]

الإسلام والسلام، والعلاقة الجِنَاسِيَّة

ثمة ظاهرة دلالية أصيلة، تعرفها اللغات الاشتقاقية عموما واللغة العربية بشكل خاص، بينما تغيب أو تكاد في اللغات الإلصاقية، تلك ظاهرة الاشتقاق، وفحواها أن الألفاظ حين تشترك في كامل لفظها أو في شيء منه، فإن ذلك الاشتراك يوازيه اشتراك في المعنى بنفس النسبة، وذلك الاشتراك في اللفظ نلمحه بين لفظتي «الإسلام» و«السلام»، فيما يسميه البلاغيون بالجناس الناقص، والذي يعكس تناسب المبدأ والمنهج والحكم والموضوع وقد جعل الله السلام تحية المسلم ليس لأخيه المسلم وحسب، بل وحتى لغير المسلمين، فمما يروى أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ.»[4] فالسلام في الإسلام سلوك يومي عام، حتى إنه ينبغي ألا يتكلم الإنسان

المسلم مع آخر قبل أن يبدأ بكلمة السلام، حيث قال رسولنا الكريم ﷺ: ''السَّلَامُ قَبْلَ الْكَلَام.''[٥] والسر في ذلك أن السلام إعلان أمان، بحيث يكون للكلام أساس وقاعدة راسخة فيسفر عن نتائج محمودة، بعكس مواقف حوارية أخرى يكون التحفظ فيها وتبييت سوء النية بين الطرفين هو سيد الموقف، والعياذ بالله!



الإسلام.. المتهم الضحية

بقراءة متأنية لحال بعض المتشددين من المسلمين قد يصل بعض الناس إلى نتيجة مفادها أن الإسلام ربما دين إرهاب، إلا أنه في حقيقة الأمر ضحيته الأولى، فنسبة حوادث الإرهاب، التي ارتكبتها تنظيمات مثل القاعدة وداعش وبوكو حرام، ضد غير المسلمين بشكل عام، لا تقارن بحجم التي ترتكبها نفس التنظيمات ضد المسلمين أنفسهم، فالهجمات الإرهابية لا تهدأ في باكستان أو في العراق، والتفجيرات الانتحارية التي ما زالت تحدث في كل مكان، إنما يروح ضحيتها مسلمون. فهنا علينا أن نلفت نظر من ينتقدون الإسلام في كل مناسبة إلى هذه القضية، إذ كيف يكون الإسلام راعيا للإرهاب بينما هو في الواقع ضحيته؟! كل هذا يحدث على الرغم من التجريم شديد اللهجة الوارد في التشريع القرآني: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٦]

كيف لدين تعايش ووئام أن يُتَّهم بالإرهاب؟!

لما تجاوز عدوان مشركي قريش الحدود كلها، وتألّبت جميع قبائل شبه جزيرة العرب للقضاء على دين الإسلام، اقتضت غيرةُ الله أن يقتل بالسيف من يسلونه على المستضعفين، وإلا فإن القرآن لم يعلّم الإكراه مطلقاً، وأبرز دليل على أن الحرب لنشر الدين ليست من تشريع الإسلام في شيء أن النبي ﷺ وأصحابه قدموا ثلاث عشرة سنة، هي عمر الدعوة الإسلامية في مكة قبل الهجرة، قدموا هذه المدة دليلا على صبر فاق الحدود والأوصاف، حتى كان المرء يشهد بأم عينيه مقتل ذويه دون أن يحرك ساكنا، مع أن القدرة على الانتقام كانت متاحة، لاسيما بعد أن انضم إلى حظيرة الإسلام بعض رجالات مكة وأكابرها، كحضرة عمر وحضرة حمزة (رضي الله عنهما).

ولو نظرنا بعين التحليل في قضية الحروب الإسلامية، لرأينا أنها «لا تخرج عن ثلاثة أقسام: الحروب الدفاعية، أي دفاعاً عن النفس،



والقصاصية، أي عقابا موقَّعًا على مرتكب جريمة سفك الدماء، والتحريرية، أي توطيداً للحرية الدينية، وكسراً لشوكةِ القُوى العدوانية التي كانت تقتل المسلمين بسبب إسلامهم" [٧]

وحين نتعرض لطرح موضوع الفتوحات الإسلامية، يكون من المناسب والأوقع الاستشهاد بشيء مما قاله أهل الإنصاف والموضوعية من غير المسلمين، وهو هنا مقولة للكاتب الفرنسي البارز أمين معلوف، والذي هو من نصارى الموارنة الساكنة في لبنان منذ خمسة عشر قرنا، حيث يقول معبرا عن نفسه وبيئته الثقافية بشكل عام: «لو كان آبائي مسلمين في بلدة غزاها النصارى، بدلا من كونهم نصارى في بلدة فتحها المسلمون، فلا أظن أنه كان بوسعهم أن يعيشوا محافظين على دياناتهم في قراهم ومدنهم طوال أربعة عشر قرنا، فأين مسلمو إسبانيا؟! وأين مسلمو صقلية؟ إمَّا قتلوا عن بكرة أبيهم، أو تم تنصيرهم جبرا وإكراها بالحديد والنار!»[٨] فإذا كان لشاهد من غير المسلمين يشهد للإسلام بأنه دين تعايش ووئام بين كل من يعيشون في ظله، وإن كانوا من غير معتنقيه، فإن من قبيل الوقاحة أن يردد بعض خصوم الإسلام تلك الافتراءات التي مبعثها إما الحقد وسوء الظن، أو الجهل وسوء الفهم، وفي هذه الحال يكونون معذورين حتى يعلموا.

الهوامش:

١ - Answers to everyday issues – Part III,

٢ – (البقرة: ٢٠٩)

٣ – (الإسراء: ٣٤)

٤ – صحيح البخاري، كتاب الإيمان

٥ – سنن الترمذي, كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله

٦ – (النساء: ٩٤)

٧ – مرزا غلام أحمد القادياني، «المسيح الناصري في الهند»، ص١٠– ١٢

٨ – انظر: أمين معلوف، «الهويات القاتلة.. قراءات في الانتماء والعولمة»، ترجمة: نبيل محسن، دار الهلال، القاهرة



المسيحُ الموعودُ والقرآنُ المجيدُ،

قصةُ حبٍّ فريدٍ



(المملكة المتحدة)

نفيس أحمد قمر

حين اتُّخِذ القرآن مهجورا

أيعقل أن يهجر المرء شيئا هو متشبث به بكلتا يديه؟! نعم، فقد يُمسك المرء الشيء بكلتا يديه في الظاهر، بينما هو في الواقع ينبذه من قلبه، فإن هذا هو الهجر بعينه، وهكذا هجر المسلمون القرآن! يقول المسيح الموعود عليه السلام: «صحيح أن معظم المسلمين قد اتخذوا القرآن مهجورًا، ولكن رغم ذلك فإن أنوار القرآن وبركاته وتأثيراته حيّة وتتجدد دومًا، ولقد بُعثتُ أنا لإثبات هذا الأمر.»(١)

وعلى الجانب الآخر، بيّن عليه السلام أثر كتاب الله تعالى في أتباعه الكُمَّل والمزايا التي يتلقونها من فيوضه بفضل ارتباطهم به حيث يقول: «يحفظون من تصرفات وأفكار وأخلاق وأفعال سيئة ومذمومة بينما ترى غيرهم ملوّثين بها ومتورطين فيها ليل نهار. ولو صدرت منهم زلّة لتداركتها رحمة الله سريعًا.(٢)

ويحثّ حضرته عليه السلام على تعلُّم العربية التي هي لسان القرآن المجيد، فتعلُّمها يعين على تلاوة كتاب الله تعالى فيقول: «فتفكّر في آية: ﴿الرّحمن * علّم القرآن﴾ فإنَّ الغرض فيها ذِكر الفرقان والحثّ على التلاوة والإمعان، ولا يحصل هذا الغرض إلا بعد تعلّم العربيّة والمهارة التّامة في هذه اللهجة.»(٣)

فهمه عليه السلام للقرآن الكريم

إن حب القرآن الكريم كان متغلغلاً في قلب حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، ومسيطرًا على نفسه وروحه بشكل ليس له مثيل، ولشدة حبّه عليه السلام للقرآن الكريم ومداومته على تلاوته فتح الله تعالى عليه أسرار العلوم

والدّرجة العليا من التّرقيات هي أن يُنشئ السّالك انسجامًا وتوافقًا وحبًّا ووحدة بينه وبين مشيئة الله تعالى وإرادته حتى تتلاشى عينُ نفسه وتأثيرها كله، وأن يعكس في وجوده الشّبيه بالمرآة ذات الله وصفاته دون أدنى شائبة من الظّلمة ودون وهْم الحلول، وأن ينعكس بكل جلاء ذات الله وصفاته في مرآة الفناء الأتم الذي باعَد بين السّالك وأهوائه النّفسانية بُعد المشرقين.»

ففهم الآيات القرآنية بشكل يُبرز قوة النور الذي تنزّل عليه والفيض الإلهي الذي تمثَّل في فهمه للآيات الكريمة، فكان عاشقًا صادقًا لله تعالى ولرسوله، فنال البركات ودنا فتدلّى، ليطعمنا من هذه المائدة الروحانية التي أحيا به موتى القلوب، ومن هذه الشّروح النّورانية فهمه لسورة الفاتحة حيث يقول حضرته عليه السلام: «تحتوي على تعليم أتم وأكمل هو ضروري لطالب الحق، وهي دستور العمل الكامل للترقّي في القرب والمعرفة؛ لأنّ الترقي في القرب يبتدئ من نقطة انطلاق يقبل فيها السالك موتًا ويجيزُ لنفسه كلَّ مشقّة ومجاهدة ويتخلى خالصًا لوجه الله عن أهواء النّفس كلِّها التي تُباعد بينه وبين مولاه الكريم، وتصرف وجهه عن الله وتوجهه إلى ملذّات النّفس وأهوائها وجذباتها وعاداتها وأفكارها وإراداتها وإلى المخلوقات، وتورِّطُه في مخاوفها وأطماعها. والدّرجة الوسطى للتّرقّيات هي أن يبدو للسّالك ما يتحمّله من أصناف المشقّة في المرحلة الابتدائية في سبيل قتل النّفس الأمّارة وما يتجشّم من ألوان المعاناة والآلام تاركًا الحالة المعتادة بصورة الإنعام. وأن تتحوّل المشقّة إلى المتعة، والحزن إلى الرّاحة، والضّيق إلى الانشراح والبشاشة.

والدّرجة العليا من التّرقيات هي أن يُنشئ السّالك انسجامًا وتوافقًا وحبًّا ووحدة بينه وبين مشيئة الله تعالى وإرادته حتى تتلاشى عينُ نفسه وتأثيرها كله، وأن يعكس في وجوده الشّبيه بالمرآة ذات الله وصفاته دون أدنى شائبة من الظّلمة ودون وهْم الحلول، وأن ينعكس بكل جلاء ذات الله وصفاته في مرآة الفناء الأتم الذي باعَد بين السّالك وأهوائه النّفسانية بُعد المشرقين.»[٤]

معارف دقيقة من عمق الحقيقة

إن سيدنا أحمد عليه السلام لم يخبرنا عن أحكام القرآن الظاهرية فحسب بل قد بيَّن لنا أيضًا حقائقَ القرآن الكريم ومعارفَه العميقةَ، وتمكن بتعليم الله تعالى لحضرته من استخراج المعارف الدقيقة وروائع النّكات ومعاني الاستعارات المستعذبة في ثوب قشيب من الأساجيع المُسْتَمْلَحَةِ، ومَلأ للطالبين جعبتهم باللآلئ والدّرر، وكان الناس يكثرون الأقاويل في ذلك الوقت، فلما فسّر عليه السلام القرآن جاء بلباب تعاليم القرآن وحقائقه، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به عليه السلام. ومن أجمل وأروع ما كتب تفسير سورة الفاتحة، وفيها مواعظ وتفاصيل وعذارى المعاني ودقائق الأقاويل.

إنه لفضل من الله تعالى علينا إذ خلقنا في هذا العصر ووفقنا للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام وبذلك هيَّأ لنا فرصة الاطلاع على جوانب خفيّة من عظمة القرآن و معارفه بواسطة المسيح الموعود عليه السلام الذي قدّم لنا كنوزَ العلم والمعارف القرآنية الفريدة - وبّين لنا أهمية القرآن ومكانته ومسؤولياتنا تجاهه، وكيف يجب أن نؤديها، فيقول حضرته عليه السلام: «أصل كل شيء هو ما علّمه الله تعالى في القرآن الكريم وهو أن المسلمين لا يمكنهم إحراز أي رقي ما لم يتبعوا القرآن الكريم اتباعًا كاملًا ويتمسّكوا بتعاليمه- كلما يبتعدون عن القرآن

الكريم يبتعدون عن مدارج الرقي وسبله- إن العمل بالقرآن الكريم وحده يحقّق كل رقي وهدي.»[٥]

حظيرة القدس تُسقى بماء القرآن

لم يكن المسيح الموعود عليه السلام مجرَّد مولعٍ بالقرآن الكريم لأجل فضائله المعنوية واللفظية، بل كان قلبه مفعمًا بعشق نادر للقرآن حتى إن تعظيمه إيَّاه لم يكن له مثيل، وكان فهمه للقرآن الكريم ودقائقه أمرًا معجزًا، ونورد بإيجاز بعض الاقتباسات المنيرة لما كتبه حضرة المسيح الموعود عليه السلام في حبه للقرآن الكريم حيث يقول حضرته: «ووالله إنه دُرّةٌ يتيمة. ظاهره نورٌ، وباطنُه نورٌ، وفوقه نورٌ، وتحته نورٌ، وفي كل لفظه وكلمته نورٌ. جنّةٌ روحانية، ذُلّلَت قُطُوفُها تَذليلاً، وتجري من تَحتِه الأنهَارُ. كُل ثمرَةٍ السّعادَةِ تُوجَد فيه، وكلّ قَبَسٍ يُقْتَبَسُ منه، ومن دُونه خَرْطُ القَتَادِ. مَوَارِدُ فَيضه سائغةٌ، قُطُوبِى للشاربين. وقد قُذِفَ في قلبي أنوارٌ منه ما كان لي أن أستحصلَها بطريق آخرَ. ووالله لوْلا القرآن ما كان لي لُطفُ حياتي. رأيتُ حُسنَه أزْيَدَ من مائة ألفِ يوسفَ، فمِلتُ إليه أَشَدَّ مَيْلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هو ربَّاني كما يُرَبِى الجنينُ، وله في قلبي أَثَرٌ عجيبٌ، وحُسنُه يُراودني عن نفسي. وإني أدركتُ بالكشف أن حظيرة القدس تُسقَى بماء القرآن، وهو بحرٌ مَوّاجٌ من ماء الحياةِ، من شرب منه فهو يحيا بل يكون من المحيين.» [٦]

آداب تلاوة القرآن الكريم

يعلمنا عليه السلام سبُلَ التأدّب مع القرآن الكريم؛ حيث إن للتلاوة آدابٌ ينبغي علينا التحلّي بها حين نقرأ القرآن الكريم، فيجب علينا أن نتدبّر في أوامره ونواهيه فنلتزم بما أمرنا به ونمتنع عما نهانا عنه.

ذات مرة سأل سائل حضرته عليه السلام: كيف يجب أن تكون تلاوة القرآن؟! فأجاب عليه السلام موجّهًا الخطاب إلى عموم المسلمين الأحمديين قائلا: «اُتلوا القرآن الكريم بتدبر وتفكر وإمعان نظر، ورد في الحديث الشريف: «رُبَّ قارئ يلعنه القرآن».. أي هناك كثير ممن يقرؤون القرآن ولكن القرآن يلعنهم. إن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به هو الذي يلعنه القرآن. فإذا مرّ المرء أثناء تلاوة القرآن بآية رحمة فعليه أن يسأل الله من رحمته، وإذا مرّ بآية تذكر نزول عذاب على قوم فعليه أن يستعيذ بالله من عذابه. وينبغي تلاوة القرآن بالتدبر والإمعان، كما يجب العمل به.» [٧]

فهكذا يعلمنا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام آداب تلاوة القرآن الكريم، وإننا نرى المتحلي بهذا الأدب والمتدبر للقرآن العامل بأحكامه ليبدو مختلفًا عن غيره، وتكون حالته الروحانية أعلى من غيره بكل جلاء ووضوح.. والحق أن تقدمنا المادي والروحاني مرتبط بالتدبر والتفكر في القرآن والعمل بأحكامه والخضوع لحكومته في كل شؤوننا.

لذا وجّه المسيح الموعود عليه السلام أنظارنا إلى التدبر والتفكر في القرآن الكريم كما كان صحابةُ النبيّ ﷺ يَقْرؤون ويتدبَّرون، ويتأثرون، فإن التدبر هو من الغايات الكبرى من إنزال القرآن؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ.﴾[٨]

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم تلاوته بصوت عذب، وهو أمر محمود، والغرض من ذلك تبليغ الإسلام، لأن الخطاب لو أُلقي بصوت جميل فإنه لا شك يترك أثرًا في النفوس، وهذا ما يبيّنه حضرته عليه السلام حيث يقول: «إن الخطاب الجميل إذا أُلقي بأسلوب جميل كان له أثر، ولكن نفس الخطاب لو ألقي بأسلوب رديء مملّ فَقَدَ التأثير.» [٩]

لا نسخ فيه، لا ريب فيه!

كانت قضية الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم شائعة بين المسلمين على اختلاف طوائفهم في زمن المسيح الموعود

عليه السلام أيضا؛ بسبب سوء فهمهم معنى قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[١٠]، فكانوا يستدلون به على وجود النسخ في القرآن الكريم، مما يترتب عليه تعطيل أحكام عدد من الآيات القرآنية تحت دعوى النسخ بآيات أخرى.

وقد حكم المسيح الموعود عليه السلام في هذه القضية باعتباره الحكم العدل، فأوضح بكل جلاء أنه لا نسخ في القرآن، وأعلن حضرته أن القرآن من أوله إلى آخره محكم ثابت معمول به ولم يتعرض أي حرف من حروفه للنسخ، فقال عليه السلام في هذا السياق: «إن رَقَبتي هي تحت نير القرآن الكريم، وليس لأحد أن ينسخ حتى نقطة أو حركة من القرآن الكريم.» [١١]

نصيحة إمام الزّمان

لقد دعا المسيح الموعود عليه السلام جماعته إلى اتباع أحكام القرآن والمواظبة على تلاوته في كل وقت وحين، قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وفي آناء الليل وأطراف النهار وإدبار النجوم، وبالعشي والإبكار حيث يقول حضرته: «لا تتخذوا القرآن مهجورًا، لأنّ فيه وحدَه حياتَكم. إن الذين يُعظّمون القرآن سوف يلقون الإكرام في السماء..... ألا لا كتاب على الأرض لبني الإنسان إلا القرآن.»[١٢]

ويقول الإمام عليه السلام ناصحًا: «فيا أيّها الإخوة: إن كنتم تريدون الله، وتطلبون اليقين، وإن لم يكن في قلوبكم حب الدّنيا؛ فهبّوا واسجدوا لله شكرًا ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم ينسكم، ولا يريد أن يُضيّعكم، لتُعَدّوا عند الله من الشاكرين. لا تنظروا إلى آيات الله باحتقار، لأنّ ذلك يُشكّل خطرًا عليكم. لا تردّوا نعم الله، لأنّ ذلك مدعاة لسخطه. لا تعلّقوا قلوبكم بالدّنيا، لأنّ ذلك هو السّبب الوحيد وراء كل نخوة وحسد وعُجب وزهو. لا تعرضوا عن آيات الله، لأنّ عاقبة ذلك ليست حسنة، وقال الله تعالى: ﴿واتلُ عَليهم نبأ الذِي آتيناه آياتنا...﴾[١٣]

وفي ختام هذه السطور، تتداعى إلى ذاكرتنا حدبث سيدنا خاتم النبيين ﷺ الذي يقول فيه: «مثلُ المؤمنِ الَّذي يقرأُ القرآنَ كالأُتْرُجَّةِ طعمُها طيّبٌ وريحُها طيّبٌ»[١٤]، فهذا بيان نبوي يشمل كل مسلم قارئ للقرآن، فما بالنا بمسلم أحب القرآن الكريم كل هذا الحب!

الهوامش:

١ – جريدة الحكم، مجلد٩، عدد٤٠، بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٠٥ ص٧.

٢ – مرزا غلام أحمد القادياني، منن الرحمن ص١.

٣ – المرجع السابق، ص٦٩.

٤ – مرزا غلام أحمد القادياني، البراهين الأحمدية ، ص ٤٣٤.

٥ – مرزا غلام أحمد القادياني، الملفوظات مجلد٨ ص٢٩–٣٠.

٦ – مرزا غلام أحمد القادياني، مرآة كمالات الإسلام ص ٥٤٥–٥٤٦.

٧ – جريدة الحكم مجلد١١ عدد ٨، بتاريخ ١٠مارس ١٩٠٧ص١٥.

٨ – (ص: ٣٠)

٩ – مرزا غلام أحمد القادياني، الملفوظات مجلد٨ ص٢٠٨.

١٠ – (البقرة: ١٠٧)

١١ – جريدة «أخبار عام» الصادرة في لاهور بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٠٨

١٢ – مرزا غلام أحمد القادياني، سفينة نوح، ص ١٣

١٣ – مرزا غلام أحمد القادياني، البراهين الأحمدية.

مولانا ظفر محمد ظفر..
سيرة عالم ومسيرة عطاء

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأبلوا فيما وهب لهم الله من المواهب، وما استخلفهم فيه من الموارد والمقدرات بلاء حسنا.. وأولى كلمات هذا المقال تمثِّل صدر الآية الرابعة والعشرين من سورة الأحزاب، ومن وجوه عظمة هذه الآية المباركة إشارتها التي عمَّت كل العصور، فكان مؤمنو عصر النبوة الأولى هم المعنيُّون منها، ثم أصبحت الآن علامة على رجال من جماعة المؤمنين الثانية، ومنهم مولانا ظفر محمد ظفر، والذي نفرِد هذا المقال للحديث عنه.



المملكة المتحدة
عاصف ظفر

النشأة الأولى، وإرهاصة روحانية

ولد مولانا ظفر محمد ظفر في التاسع من أبريل عام ١٩٠٨م، في حقبة تاريخية شهدت فيها شبه القارة الهندية مخاضات دينية وفكرية وسياسية كبرى. تزامنت ولادته مع مرحلة حاسمة من تطور المجتمع الإسلامي هناك، حيث كان والده، الحافظ فتح محمد خان المندراني، من الرعيل الأول من صحابة سيدنا المسيح الموعود حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام، وقد أتاح له انتماؤه الأسري أن يترعرع في مناخ تغشاه التقاليد العلمية الإسلامية، وتضبطه مكارم الأخلاق. وكان للبيئة التربوية الأولى دور محوري في تشكيل وجدانه؛ إذ جمع والده بين حفظ القرآن الكريم والارتباط الوثيق بالجماعة الناشئة، مما أسهم لاحقًا في غرس محبة القرآن الكريم في نفس الابن منذ نعومة أظفاره.

ومن الأحداث الجديرة بالتوقف عندها في سيرة مولانا ظفر محمد ظفر، ما قصَّه بلسانه من رؤيا منامية صادقة؛ إذ رأى القرآن الكريم يتلألأ نوره في صدره. لم تكن هذه الرؤيا مجرد منام عابر، بل كانت بمثابة إيذان بمسار حياته متفرد يرتكز على خدمة كتاب الله عز وجل، وليست سيرة مولانا ظفر كلها سوى تأويل صادق لتلك الرؤيا المبكرة. الجميل فيما بعد ذلك حين قص الطفل رؤياه على والده، أدرك الأب بفطنته الروحية

أن هذه البشارة تستلزم توجيهًا حاسمًا لمسار ولده التعليمي. لم يتردد الحافظ فتح محمد خان في اتخاذ قرار إرساله إلى قاديان دار الأمان، بوصفها المركز الروحي للجماعة، ليتفرغ لدراسة العلوم الشرعية واللغوية. وفي مارس من عام ١٩٢١م، ألقى الفتى عصا الترحال في قاديان وهو لم يتجاوز بعدُ الثالثة عشرة من عمره، ليبدأ شوطًا طويلًا من التحصيل المعرفي الذي صقل عقليته وحدد ملامح شخصيته.

في قاديان، التكَوُّن الفكري

شهدت قاديان في عشرينيات القرن الماضي نهضة تعليمية ملحوظة، هدفت إلى بناء كوادر علمية تجمع بين أصالة الدراسة الدينية والشرعية من جهة، ومتطلبات العصر ومستجداته من جهة أخرى. وقد انخرط ظفر محمد ظفر في هذا المضمار، متدرجًا في دراسة المقررات الشرعية واللغوية التي شملت علوم التفسير، والحديث، والفقه، والأدب العربي، والفارسي. تميزت تلك الفترة بتركيزها على التمكن اللغوي كمدخل لفهم المقاصد الدينية، وهو ما تجاوب معه شغفه الفطري باللغات والبيان.

خلال مسيرته الدراسية الممتدة من عام ١٩٢٣م حتى عام ١٩٢٩م، حظي بشرف مرافقة نجل المصلح الموعود ﷺ حضرة مرزا ناصر أحمد، الذي أصبح لاحقًا خليفة المسيح الموعود الثالث. لقد مثَّلت هذه الزمالة الدراسية علامة فارقة في حياته؛ إذ عاشا سويًا متطلبات التحصيل العلمي الرصين، وخاضا معًا نقاشات فكرية ولغوية في أروقة مدرسة تعليم الإسلام. لم تكن تلك الصحبة مجرد مشاركة في مقاعد الدرس، بل كانت بيئة تفاعلية صقلت لدى الرفيقين كليهما مهارات البحث، والنقد، والمناظرة في سياق من المنهجية الأكاديمية.

تُوّج هذا المسار الأكاديمي الحافل في عام ١٩٢٩م بنيل مولانا ظفر صاحب شهادة «المولوي الفاضل» من جامعة البنجاب بتفوق، وهي أعلى شهادة تمنحها الجامعة آنذاك في الدراسات الشرقية واللغات والعلوم الإسلامية. لم يكتفِ ظفر محمد بهذا الإنجاز الواعد، بل واصل دراساته التخصصية في الجامعة الأحمدية لمدة عامين إضافيين، متعمقًا في الفقه المقارن، وتاريخ الأديان، وعلم الكلام، مما شكَّل لديه قاعدة معرفية راسخة جمعت كلا الحسنيين؛ الاطلاع الأكاديمي الواسع والحس الديني العميق.

نِعْمَ النسبُ! ونِعْمَ المُصاهَرة!

في عام ١٩٣١م، وبعد أن استكمل مولانا ظفر تكوينه النظري، دخل مرحلة جديدة من الاستقرار الاجتماعي باقترانه بالسيدة الفاضلة رشيدة بيغم، كريمة الصحابي الدكتور ظفر حسن ﷺ. كان هذا الزواج تجسيدًا للترابط الاجتماعي والعقدي بين الأسر الأحمدية الأولى، حيث عززت المصاهرة أواصر التضامن، بما يدعم الاستقرار النفسي للعلماء والدعاة المتفرغين للخدمة العامة. وقد كان حموه الدكتور ظفر حسن ﷺ طبيبًا ذا شخصية مميزة، جمعت بين الكفاءة الطبية والوعي الديني، مما أتاح للصِّهر (مولانا ظفر محمد ظفر) بناء أسرة مستقرة تتفهم بعمق طبيعة الواجبات الملقاة على عاتق رجل العلم. هذا الاستقرار الأسري وفّر له بيئة محفزة للانخراط الكامل في النشاط التبليغي والتعليمي؛ إذ مثلت زوجته نعم السند له في تحولاته الوظيفية المتعددة، ثم في أوقات الابتلاء الجسدي بالمرض لاحقًا. تزامن بناؤه أسرته الطيبة مع انخراطه الميداني في العمل الديني، حيث كُلف في بداية مساره بالنشاط التبليغي في منطقة «بهاولبور»، وهي بيئة اتسمت بالتنوع المذهبي والتعقيد الاجتماعي. خاض هناك أولى تجاربه العملية في الحوار العقدي والخطابة العامة، مما نقله من عالم

الكتب النظري إلى معترك الممارسة الواقعية لأساليب الإقناع والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

مسؤوليات جِسام بين المهام الإدارية والرسالة التربوية

عقب عودته من العمل الميداني في بهاولبور، عُين معلمًا في المدرسة الأحمدية في قاديان، لتبدأ مرحلة مهمة من عطائه التربوي والمؤسسي. إلا أن كفاءته الذهنية وموهبته في الكتابة والتحليل سرعان ما لفتت أنظار القيادة الروحية للجماعة. ففي عام ١٩٣٤م، اختاره الخليفة الثاني سيدنا المصلح الموعود ﵁ ليتولى منصب مساعد السكرتير الخاص. وضع هذا المنصب مولانا ظفر في قلب الجهاز الإداري للجماعة، مما أكسبه مهارات إدارية ما كان ليكتسبها في مكان آخر، حيث اطلع على آليات إدارة الأزمات، والتواصل مع الفروع المنتشرة في كافة أرجاء العالم، وتوثيق المراسلات.

وفي عام ١٩٣٥م، كُلِّف بشغل موقع وظيفي جديد ليكون أول سكرتير للرابطة الوطنية في قاديان. وفي عام ١٩٣٧م، توسعت دائرة مهامه، إذ أسندت إليه وظيفة ناظم الأعمال الخاصة، تحت الإشراف المباشر للصاحبزادة مرزا شريف أحمد. كانت هذه الوظيفة تتطلب دقة متناهية وحنكة إدارية خاصة. وتزامنا مع هذا العمل الإداري، كلِّف حضرته بأداء وظيفة تربوية كمدرس في مدرسة نصرت الثانوية للبنات حتى عام ١٩٣٨م، ليؤكد بذلك عمليًّا التزامه بدعم تعليم الفتيات والارتقاء بالمستوى المعرفي للمرأة المسلمة. لقد كان العمل التربوي بصورة عامة يمثّل لديه شغفًا ورسالة مستمرة لا مجرد وظيفة رتيبة. وكان تدريسه في ثانوية نصرت ميدان آخر يتناسب مع قدراته وظروفه الجديدة، فقرر العمل محاميًا ومستشارًا قانونيًا في دار القضاء.. واستند في عمله الجديد إلى تكوينه الفقهي المتين وخبرته السابقة قاضيًا في دار القضاء ذاتها. تميزت مرافعاته ودراساته للقضايا بالعمق الاستدلالي، والحرص البالغ على إرساء ميزان العدل، والتوفيق بين روح الشريعة الإسلامية والإجراءات القضائية المتبعة. شكلت هذه النقلة المهنية نموذجًا عمليًا في المرونة الشخصية والإصرار على خدمة المجتمع؛ إذ حوّل عارض ضعف البصر إلى فرصة لتعميق البصيرة القانونية والاجتماعية في معالجة شؤون الناس ومنازعاتهم.

جسر الترجمة بين العربية والأردية

لم تمنع المتاعب الصحية مولانا ظفر من الإسهام في حركة الترجمة، التي تمثل شريان التواصل بين الثقافات واللغات داخل الفكر الإسلامي. ونظرًا إلى تمتع حضرته بملكة لغوية مبكرة جعلته يتقن التعبير بالعربية والفارسية والأردية، كان مؤهلا للقيام بمهام ترجمة معقدة تتطلب إدراكًا واسعًا ومعمَّقًا في ذات الوقت للمصطلحات الدينية والإمكانات البيانية للغات الثلاث؛ ففي الفترة ما بين عامي ١٩٦٤م و١٩٦٦م، أُوكلت إليه مهمة نقل بعض المؤلفات العربية لسيدنا المسيح الموعود ﵇ إلى الأردية. وكما هو معلوم، فقد تميزت النصوص العربية التي كتبها المسيح الموعود ﵇ بأسلوبها البلاغي الفريد ومصطلحاتها العرفانية العميقة التي يقف إزاءها بلغاء العربية مشدوهين، مما جعل مهمة ترجمتها تحديًا لغويًّا وبلاغيًّا كبيراً. وبما أنَّ ما لا يُدرَك كلُّه لا يُترَكُ كلُّه؛ فقد حظي مولانا ظفر محمد بتوفيق الله تعالى، فتمكَّن ببراعته لافتة من أن يجعل ذلك الغذاء الروحي سائغًا للناطقين بالأردية بدرجة كبيرة، وكانت ترجمته رصينة وواضحة، احتفظ فيها بروح النصوص الأصلية ودلالاتها الدقيقة دونما إفراط أو تفريط.

تجدد هذا الدور اللغوي البارز عام ١٩٧٥م، أي خلال العهد المبارك للخليفة الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد (رحمه الله)،

وكان حضرته قد كلَّف مولانا صادق سماتري بتعريب تفسير سورة الكهف، المستنبط من التفسير الكبير لحضرة المصلح الموعود ﷺ. وتقديرًا لإمكانات مولانا ظفر محمد ظفر اللغوية وخبرته في دقائق التعبير العربي، عُين معاونًا رئيسيًا في هذا العمل العلمي الجليل. ولسنا نبالغ لو قلنا أن تعريب تفسير سورة الكهف في ذلك الوقت شكّل إضافة نوعية للمكتبة الإسلامية العربية؛ إذ تطلب تقديم أطروحات فكرية عميقة حول الفتنة المسيحية ونهاية الزمان إلى القارئ العربي بأسلوب محكم ورصين، وهو ما نجح الثنائي في تحقيقه بتناغم علمي ملحوظ.



معجزات القرآن.. حساب الجُمَّل، والإعجاز العددي

ظل الشغف بالقرآن الكريم هو الخيط الناظم لمسيرة مولانا ظفر محمد ظفر منذ أن رأى رؤياه المبكرة التي أشارت إليها سلفا كلمات المقال. ولحسن حظ مولانا ظفر محمد وطالعه السعيد لكونه أحد أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية، وانغماسه لعقود في تدبر آيات الكتاب العزيز، كان من الطبيعي أن يتجاوز التفسير الظاهري إلى سبر أغوار رمزية الدلالات، وروابط المناسبات بين السور والآيات. وكان من ثمار هذا الانكباب العلمي تبحره في حقلين طالما أثارا جدلًا علميًّا دينيًّا واسعًا، وهما علم الحروف المقطعة وعلم الأعداد، ولعل الأخير هو ما نتعارف عليه باسم «حساب الجُمَّل". كُلِّلَ هذا البحث القرآني المتخصص بتأليف كتابه المعنوَن بـ»معجزات القرآن»، الذي يعد من المؤلفات النوعية في هذا الباب. وتناول مولانا ظفر محمد في هذا الكتاب دلالات الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور، فحذا حذو سيدنا المصلح الموعود ﷺ، والذي سبق إلى تناولها بوصفها مفاتيح دلالية محكمة وجَفرات إعجازية ترتبط بمضامين السور التي تفتتحها وبنيتها الموضوعية. كما تبحَّر في علم الأعداد، أو ما أصبح يُدعى بـ «الإعجاز العددي في القرآن الكريم»، وكان صاحب رؤية معتدلة تُجانب التكلف الحسابي والتلاعب بالأرقام والأعداد؛ إذ سعى إلى إثبات التناسق الرياضي في ترتيب الكلمات والآيات كدليل بياني على إلهية المصدر.

أفول نجم ساطع

بعد مسيرة زاخرة بالعطاء امتدت لأكثر من سبعة عقود، أفل نجم هذا العالم الجليل. ففي الثالث والعشرين من أبريل عام ١٩٨٢م، ارتحل مولانا ظفر محمد عن هذا العالم الفاني إلى لقاء ربه، عن عمر ناهز الرابعة والسبعين عامًا. كان رحيله خسارة جسيمة للأوساط العلمية والأدبية في ربوة ومحيطها، بعد أن أمضى عمره نعم الخادم المتفاني، ووري جثمانه الثرى في مقبرة «بهشتي» في ربوة، والتي خُصصت لأهل التقوى، ممن قدموا خدمات مشهودة في سبيل الجماعة الأحمدية. كان دفنه في ذلك المكان تكريمًا لمسيرته المخلصة وتأكيدًا على بقاء ذكره حاضرًا في ذاكرة الجماعة الإسلامية الأحمدية التي بذل في خدمتها كل مرتخص وغال، محققا بذلك مقتضيات وقف الحياة، وليكون بذلك قد صدق ما عاهد الله عليه، وما بدَّل تبديلا.



ألزهايمر، لص الذاكرة الخفي

ترى ماذا يمكن أن نكون بلا ذاكرة؟!

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.﴾[1]، يمكن أن نستشف من منطوق الآية الكريمة أنَّه قد مرَّت حِقَبٌ طويلة موغلة في القدم على الجنس البشري دون أن يكون له نصيب من الذاكرة طويلة الأجل، ولا شك أن جنسنا خلال تلك الحقب لم يكن ليتميز على ما سواه من مخلوقات، اللهم إلا في استواء القامة!

ففي النسيج المعقد للوجود الإنساني، تُمثِّل الذاكرة تلك الخيوط الذهبية التي تنسج هويتنا، وتربط ماضينا بحاضرنا، وتمنحنا القدرة على استشراف المستقبل. هي السجل الذي نحفظ فيه وجوه من نحب، وتجاربنا التي صقلتنا، والمعارف التي كوّنت وعينا. لكن ماذا يحدث حين تبدأ هذه الخيوط بالاهتراء والتلاشي، حين يغزو «لص الذاكرة» أقدس حصون العقل، تاركًا خلفه فراغًا موحشًا؟ هذا هو عالم مرض ألزهايمر، هذا الظل الثقيل الذي يلقي بوطأته على خريف العمر، محوِّلًا حكمة السنين إلى ضباب من الحيرة والضياع.

إن الحديث عن ألزهايمر يتجاوز كونه مجرد سرد طبي لمرض عصبي؛ إنه استكشاف لأحد أكثر التحديات الإنسانية إيلامًا، حيث يفقد المرء جوهره ببطء، ويتحول إلى غريب في عيون أحبائه. في هذا المقال، سنغوص في أعماق هذا المرض المستعصي، متتبعين تاريخه، ومحللين آلياته البيولوجية، ومستعرضين فصولاً من حياة مشاهير واجهوه، لنصل في النهاية إلى بصيص الأمل الذي يلوح في أفق العلاج.



مصر

د. أحمد وائل

ويتجاوز ألزهايمر مجرد كونه نسيانًا عابرًا لأماكن المفاتيح أو أسماء الأشخاص، بل هو عملية تلاشٍ أو انهيار منتظمة لخلايا الدماغ، تبدأ عادةً في المناطق المسؤولة عن الذاكرة، مثل الحصين، ثم تنتشر تدريجيًا لتشمل مناطق أخرى مسؤولة عن اللغة والتفكير المنطقي واتخاذ القرارات. وعلى المستوى المجهري، يكمن جوهر المرض في تراكم نوعين من البروتينات الشاذة في الدماغ

ما هو «ألزهايمر»؟!

من منظور طبي، يُعرَّف المرض بأنه اضطراب تنكسي عصبي متفاقم، وينص التقرير السنوي الشامل الذي تصدره جمعية ألزهايمر، والذي يُعدّ مرجعًا أساسيًا للإحصاءات المتعلقة بانتشار هذا المرض، على أن ألزهايمر هو السبب الأكثر شيوعًا للخرف بين كبار السن، حيث إنه السبب الكامن وراء نسبة تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٨٠٪ من الحالات.[٢]

ويتجاوز ألزهايمر مجرد كونه نسيانًا عابرًا لأماكن المفاتيح أو أسماء الأشخاص، بل هو عملية تلاشٍ أو انهيار منتظمة لخلايا الدماغ، تبدأ عادةً في المناطق المسؤولة عن الذاكرة، مثل الحصين، ثم تنتشر تدريجيًا لتشمل مناطق أخرى مسؤولة عن اللغة والتفكير المنطقي واتخاذ القرارات. وعلى المستوى المجهري، يكمن جوهر المرض في تراكم نوعين من البروتينات الشاذة في الدماغ، أولها صفائح «لأميلويد»، والتي تتألف من بروتين يسمى «بيتا أميلويد» في الدماغ السليم، يتم تكسير هذا البروتين والتخلص منه. أما في دماغ مريض ألزهايمر، فتتجمع شظايا هذا البروتين معًا لتكوّن لويحات صلبة غير قابلة للذوبان بين الخلايا العصبية، مما يعطل الاتصال بينها ويُطلق سلسلة من الاستجابات الالتهابية السامة.

أما ثاني تكوين بروتيني مسبب للزهايمر فهو التشابكات الليفية العصبية، وتتكون هذه التشابكات داخل الخلايا العصبية نفسها. بطل هذه المأساة الداخلية هو بروتين «تاو» الذي يقوم بدور فعّال في الأحوال الطبيعية، هو تثبيت الأنابيب الدقيقة المشكّلة للهيكل الداخلي للخلايا العصبية، وتلك لأنابيب بدورها تعمل كنواقل للغذاء والجزيئات الحيوية. في مرض ألزهايمر، يتعرض بروتين تاو للعملية المسمّاة بـ «فرط الفسفرة»، مما يؤدي إلى تغير شكل الروابط العضوية في جزيئاته، مكونة خيوطًا معقدة تُعرف بالتشابكات الليفية. يؤدي هذا إلى انهيار نظام النقل الداخلي للخلية وانهيارها في نهاية المطاف.[٣]

هذه العملية المزدوجة من الهجوم الخارجي (لويحات الأميلويد) والانهيار الداخلي (تشابكات تاو) تؤدي إلى موت واسع النطاق للخلايا العصبية وتقلص حجم الدماغ، وهو ما يظهر جليًا في صور الرنين المغناطيسي للمرضى في المراحل المتقدمة.

رحلة الكشف عن «لص الذاكرة».. نبذة تاريخية

قديما لم يكن ألزهايمر معروفًا بهذا الاسم حتى مطلع القرن العشرين. تعود قصة اكتشافه إلى عام ١٩٠٦، عندما قام الطبيب النفسي والعصبي الألماني «ألويس ألزهايمر» بعرض

حالة مريضة تُدعى أوغست ديتر، التي توفيت عن عمر يناهز ٥١ عامًا بعد معاناتها من فقدان ذاكرة حاد، وجنون ارتياب، وعدم القدرة على الإجابة عن أبسط الأسئلة. عند فحص دماغها بعد وفاتها، لاحظ الطبيب ألزهايمر وجود ترسبات غريبة لم يسبق له رؤيتها، وهي ما أُشير إليها في هذا المقال سلفا، وصرنا نعرفها اليوم بصفائح الأميلويد والتشابكات الليفية العصبية. كانت ملاحظة الطبيب ألزهايمر ثورية في حينها وقد قام بتوثيق نشرها في العام التالي.[٤] وفي عام ١٩١٠، قام الطبيب النفسي الألماني «إميل كريبلين» الذي كان الطبيب ألزهايمر يعمل في مختبره، بتضمين وصف هذه الحالة في الطبعة الثامنة من كتابه الشهير «الطب النفسي»، وأطلق عليها اسم «مرض ألزهايمر.»[٥] لسنوات عديدة، كان يُعتقد أن هذا المرض حالة نادرة تصيب الأشخاص في منتصف العمر فقط، ولم يجرِ الربط بشكل واسع بين هذه التغيرات الدماغية والخرف الشائع لدى كبار السن إلا في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين، بفضل أبحاث علماء مثل روبرت كاتزمان، الذي أوضح أن ألزهايمر ليس مرضًا نادرًا، بل هو مرض شائع، لكنه صامت يمثل السبب الرئيسي للخرف في الشيخوخة. هذا التحول في الفهم فتح الباب أمام تكثيف الأبحاث لفهم هذا المرض الخبيث، في محاولة للبحث عن ترياق ناجع له.

مشاهير في دائرة المعاناة

ساهمت إصابة عدد من الشخصيات العامة البارزة بمرض ألزهايمر في كسر جدار الصمت والعزلة المحيط بالمرض، وزيادة الوعي العام به، وحشد الدعم لتمويل الأبحاث. ويُعدّ الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان أحد أشهر من وقعوا في قبضة هذا المرض، ففي عام ١٩٩٤، وبعد سنوات من مغادرته البيت الأبيض، وجّه ريغان رسالة مؤثرة إلى الشعب الأمريكي، كشف فيها عن تشخيص إصابته بالمرض. كتب فيها: «أبدأ الآن الرحلة التي ستقودني إلى غروب حياتي.»[٦] أصبحت هذه الرسالة لحظة فارقة في تاريخ المرض، حيث حوّلت النقاش من الهمس في الغرف المغلقة إلى حوار وطني وعالمي.

ومن الشخصيات البارزة الأخرى، ممثلة هوليود الشهيرة «ريتا هيوارث»، التي عانت لسنوات من أعراض عزاها الأطباء إلى إدمان الكحول، قبل أن يتم تشخيصها بألزهايمر في عام ١٩٨٠. ومنذ ذلك الحين بادرت ابنتها الأميرة ياسمين أغا خان، بتأسيس «جمعية ألزهايمر» التي أصبحت واحدة من كبرى المؤسسات البحثية العلاجية الداعمة لأبحاث المرض ورعاية المرضى. كما واجهت رئيسة الوزراء البريطانية «مارغريت تاتشر» المرض في سنواتها الأخيرة. وفي عالم الأدب، وثّق «جون بايلي» بأسلوب مؤثر تدهور حال زوجته، الروائية والفيلسوفة إيريس مردوخ، في كتابه «مرثية لإيريس»، الذي جرى إخراجه لاحقًا بصورة فيلم سينمائي ناجح.

لقد أظهرت قصص هؤلاء المشاهير أن ألزهايمر مرض ديمقراطي في قساوته، فهو لا يفرق بين غني وفقير، أو قوي وضعيف، إنه مرض يصيب العقل غاضا الطرف عن إنجازاته ومكانته.

تشخيص المرض بفك شفرة العقل المتلاشي

حتى وقت قريب، كان التشخيص المؤكد لمرض ألزهايمر لا يتم إلا بعد الوفاة من خلال فحص أنسجة الدماغ. أما اليوم، فقد تطورت الأدوات التشخيصية بشكل كبير، مما يسمح للأطباء بالوصول إلى تشخيص دقيق على درجة عالية من الموثوقية تصل إلى ٩٠٪. عملية التشخيص شاملة وتعتمد على استبعاد الأسباب الأخرى للخرف، وتتضمن عدة خطوات، من بينها **التقييم** السريري والمعرفي، حيث

يبدأ الطبيب بأخذ تاريخ مرضي مفصل من المريض وأسرته، يليه إجراء اختبارات معرفية وعصبية لتقييم الذاكرة، ومهارات حل المشكلات، والانتباه، واللغة.

وثاني خطوات تشخيص ألزهايمر إجراء الفحوصات المخبرية، حيث تُجرى تحاليل دم شاملة لاستبعاد الأسباب الأخرى التي قد تسبب أعراضًا شبيهة بالخرف، مثل نقص فيتامين «ب ١٢» أو اضطرابات الغدة الدرقية.

ولا يمكن استبعاد التصوير بأشعة الرنين المغناطيسي أو الأشعة المقطعية، بوصفه أحد أبرز طرق التشخيص المعاصرة، وهدف التصوير هو الكشف عن ضمور الدماغ، خاصة في منطقة الحصين، واستبعاد الأسباب الأخرى مثل الأورام أو الجلطات الدماغية.

وهناك أسلوب أكثر تطورا في التصوير، وهو التصوير الجزيئي، ويمثل هذا المجال طفرة حقيقية في التشخيص، حيث يتيح رؤية صفائح الأميلويد وتشابكات تاو في دماغ الشخص الحي.

وعلاوة على تصوير الدماغ، يُستخدم تحليل «الأميلويد» للكشف عن تكوّن صفائح الأميلويد، بينما يكشف فحص بروتين «تاو» عن تشابكات تاو، مما يوفر دليلاً حيويا مباشرًا على وجود المرض.

لماذا نربط بين ألزهايمر والتقدم في العمر؟!

يُعد التقدم في العمر عامل الخطر الأبرز للإصابة بمرض ألزهايمر. فبينما يصيب المرض نسبة تُقدر بـ ٥٪ ممن تتراوح أعمارهم بين ٦٥ و٧٤ عامًا، ترتفع النسبة بشكل كبير لدى من هم فوق سن ٨٥ عامًا. العلاقة بين الشيخوخة وألزهايمر معقدة ومتعددة الأوجه، وتتداخل فيها عدة آليات بيولوجية، لعل أبرزها تراكم الأضرار الجزيئية، فمع مرور الزمن، يتعرض الدماغ، مثله مثل بقية أعضاء الجسم، لتراكم الأضرار الناجمة عن الإجهاد التأكسدي والالتهابات المزمنة منخفضة الدرجة. تضعف هذه العمليات قدرة الخلايا العصبية على أداء وظائفها وإصلاح نفسها.



ومن العوامل البيولوجية لمساعدة على الإصابة بألزهايمر ضعف آليات التنقية، حيث يمتلك الدماغ نظامًا فعالًا للتخلص من الفضلات يُعرف بـ «النظام الغليمفاوي»، والذي يكون أكثر نشاطًا أثناء النوم. تشير الأبحاث إلى أن كفاءة هذا النظام تقل مع التقدم في العمر، مما يؤدي إلى فشل في التخلص من البروتينات السامة مثل بيتا أميلويد، فتتراكم تدريجيًا.

كذلك من المتفق عليه الآن أن صحة الأوعية الدموية تتدهور مع التقدم في السن، مما قد يقلل من تدفق الدم إلى الدماغ ويعيق وصول الأكسجين والعناصر الغذائية. ويُعتقد أن صحة الأوعية الدموية الدماغية تلعب دورًا حاسمًا في تطور المرض. كما تدخل بعض الخلايا في حالة «شيخوخة» مع التقدم في العمر، حيث تتوقف عن الانقسام ولكنها لا تموت، بل تفرز مواد التهابية تضر بالخلايا المجاورة.

بصيص من أمل يلوح في المستقبل

لعقود طويلة، كانت خيارات علاج ألزهايمر محدودة ومخيبة للآمال، حيث اقتصرت على أدوية تعالج الأعراض بشكل مؤقت دون أن توقف تقدم المرض.

إن مرض ألزهايمر ليس مجرد قصور في الذاكرة، بل هو اغتراب الإنسان عن ذاته.
إنه رحلة طويلة ومؤلمة للمريض وعائلته،
رحلة تتطلب قدرًا هائلاً من الصبر والرحمة والدعم.

لكن السنوات القليلة الماضية شهدت ثورة حقيقية في مجال العلاج، مع ظهور جيل جديد من الأدوية التي تستهدف الآليات البيولوجية الأساسية للمرض لأول مرة، وأبرز تلك العلاجات الأجسام المضادة التي تستهدف بروتين «الأميلويد»، والأخرى لتي تستهدف بروتين «تاو»، والذي يُعد استهدافه أكثر فعالية في وقف تدهور الأعراض. وخلصت التجارب السريرية إلى أن تلك العلاجات نجحت في إزالة صفائح الأميلويد من الدماغ وإبطاء التدهور الذهني لدى المرضى في المراحل المبكرة.

ولكن على الرغم من أن هذه العلاجات لا تحقق الشفاء التام إلى الآن، إلا أنها تعتبر خطوة تاريخية هائلة، فهي أول علاجات تُثبت قدرتها على تغيير مسار المرض البيولوجي. ومع ذلك، لا مفر من التحديات التي تصاحب تلك العلاجات، أبرز تلك التحديات الآثار الجانبية المحتملة، مثل تورم ونزيف الدماغ، ناهيك عن تكلفتها الباهظة.

إن مرض ألزهايمر ليس مجرد قصور في الذاكرة، بل هو اغتراب الإنسان عن ذاته. إنه رحلة طويلة ومؤلمة للمريض وعائلته، رحلة تتطلب قدرًا هائلاً من الصبر والرحمة والدعم. ورغم قتامة الصورة، فإن شمس العلم لم تتوقف عن السطوع. وقد لا نكون قد وصلنا إلى نهاية النفق بعد، لكننا ولأول مرة، نستطيع أن نرى ضوءًا واضحًا في الأفق، ضوءًا يحمل وعدًا بمستقبل يمكن فيه الحفاظ على جوهر الإنسان، ذاكرته وهويته، من سطوة هذا اللص الصامت. فالتقدم المتسارع في فهمنا لبيولوجيا المرض، والنجاحات الأخيرة في تطوير علاجات تستهدف جذوره، يمنحنا سببًا وجيهًا للاستبشار بالتوصل إلى علاج فعّال.

الهوامش:

١ – (الإِنْسان: ٢)

2 - Alzheimer's Association. (2024). 2024 Alzheimer's Disease Facts and Figures. Alzheimer's & Dementia, 20(5).

3 - Selkoe, D. J., & Hardy, J. (2016). The amyloid hypothesis of Alzheimer's disease at 25 years. EMBO Molecular Medicine, 8(6), 595-608.

4 - Alzheimer, A. (1907). Über eine eigenartige Erkrankung der Hirnrinde. Allgemeine Zeitschrift für Psychiatrie und Psychisch-Gerichtliche Medizin, 64, 146-148.

5 - Katzman, R. (1976). The prevalence and malignancy of Alzheimer disease: a major killer. Archives of Neurology, 33(4), 217-218.

٦ – رونالد ريغان، رسالة مكتوبة بخط اليد بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٩٤، مكتبة ومتحف رونالد ريغان الرئاسي


altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 7, November 2026

www.altaqwa.net